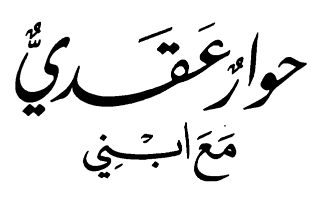
محمد مرزوق الشهراني

حوارٌ عقديٌّ مع ابني




حوار عقدي
مع ابني


بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلى والديَّ الكريمين

حفظهما الله وجزاهما خير ما جزى والِدَين عن أبنائهم..

إلى زوجي الحبيب..

أسأل الله أن يبارك فيه وفي علمه وعمله..

إلى ابنائي:

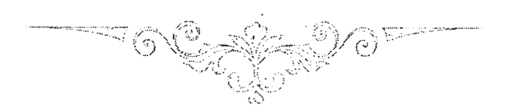
حفظهم الله وأصلحهم..

إلى كلِّ أب وأم

حريصَين على غرس العقيدة في قلوب أبنائهم.

إلى كلِّ شاب وفتاة

حريصَين على تأسيس العقيدة الصحيحة..





مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. تسليماً كثيراً.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه**».

إن العقيدة هي أصل الدين، وهي المنهج الشامل الذي يجيب على كل تساؤلات الإنسان.

فالعقيدة الصحيحة ليست جديدة على الإنسان، بل هو مفطور عليها، وقلبه يعلم خالقه وفاطره.

ولكن في هـذا الزمن تزداد الحاجة للحـوار مع الأبناء، وتخصيص وقتاً للحديث معهم في ما يُواجههـم من أفكارٍ وأحداث؛ لتحصينهـم عقديًا وإيمانياً؛ حتى لا ينشـأ وهولا يعرف ربه وخالقه ودينه.

وفي هذه الورقات البسيطة عمدت إلى جمع بعض الأمور الواضحات، على شكل حوار افتراضي بين الأم وابنها.. ولقد حرصت على عدم الإكثار من الأسئلة حتى لا يكون مملاً.

ولقد مررت بالعديد من كتـب العقيدة للأبناء، فوجدتها مليئة بالصور والرسومات التي تصرف انتباه الأبناء ـ بالنظر ـ إليها عن التركيز على المهم.

ولقد سـلكت في ترتيب الأسـئلة علـى أركان الإيمان وجعلت لكل ركن عدد من الأسئلة.

فلنحرص علـى أبنائنا (فكلكـم راعٍ وكلكم مسـؤول) فأبناؤنا هم امتداد لأعمالنا..

أسـأل الله أن ينفع بما كتبته وأن يجعلـه خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله حجة لي يوم ألقاه..

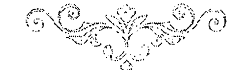
وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ..

دخلت ذات يوم على ابني،
فرأيته حزيناً ويفكِّر باهتمام.
فسألته: ما بك يا بُنيَّ؟. فقال: أُمِّي..
إني أكره صفات ضعفي، كيف يمكنني أن أتغلب عليها وأزيد من قوتي؟ وكذلك يحزنني كثيراً نسياني لما حفظته، فأنا لا أحبُّ الضَّعف ولا أحبُّ النسيان.

فابتسمت وقلت: حفظك الله يا بني لا تحزن، فإنَّ كلَّ إنسان يشعر بما تشعر به.

كلُّ إنسانٍ يشعر بالضعف وينسى كثيراً مما يحفظ، وهذه من صفات الإنسان. فلابدَّ أن تعلم أمراً مهمًّا يابنيَّ إنه ليس كلُّ ما يصف الإنسان به نفسه من صفات تأخذها أنت على حقيقتها وكمالها المطلق، فمن يقول أنه قويٌّ لن يكون قويًّا دائماً ولن يكون قويًّا على كل شيء، ومن هو قويٌّ اليوم سيكون ضعيفاً غداً، ومن كان صحيحاً اليوم، سيكون سقيماً يوماً ما.

وكذلك يا بني سـمِّي الإنسان إنساناً لكثرة نسيانه، فالإنسان يمرُّ بحالات ضعفٍ وقوة ونسيانٍ، ويتعلَّمُ بعض الأشياء ويجهل أشياء أكثر، فالقوة الكاملة لله ﷻ فهو القوي المتين، والعلم الكامل لله سبحانه وتعالى، فهو العليم الحفيظ، أما الإنسان فلا حول له ولا قوة له إلا بالله، ولا علم له إلا ما علمه الله.



فسألني: أمي.. هل خلق الله الإنسان قويًّا أم ضعيفاً؟

فردَدْت قائلة:

خُلق الإنسان من تراب، والتراب هو أضعف شيء وأحقره في الأرض.

فالإنسان ضعيف البنية والخِلقة، يقول الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ [الروم: ٥٤].

وليس له حولٌ ولا قوةٌ، فالإنسان ضعيفٌ إن لم يبحث عمَّا يتقوى به من ضعفه.

لذلك ضل بعض البشر في بحثهم عما يتقوون به، فبعضهم اعتمد على الأصنام وغيرها، فيطلب منها الرزق والعون والإرشاد فأضلتهم الشياطين.

فالإنسان ليس له حولٌ ولا قوة إلا بالله..

قال ابني: حدثيني يا أمي عن صفات الإنسان؟

فقلت له: من صفات الإنسان يا بني وفقك الله:

١ ـ **العجلة**: فهو عجول دائماً، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] وذلك لجهله وقلة علمه، فهو يستعجل رزقه، ويصيبه الهمُّ لأمر رزقه ويحزن إن تأخر ما يطلبه.

٢ ـ **الجهل والظلم**: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] ظلوماً لنفسه جهولاً بربه، فيظلم نفسه بفعل شيءٍ يظنُّه الأصلح، ولكن قد لا يكون صالحاً له، ويظلم غيره، وجهولاً بمصيره وجهولاً بما ضيَّع من الحقوق؛ لأنَّه لا يعلم كلَّ شيء، فقد يحرص على شيء فيندم عليه ويكتشف أنَّه ليس مناسباً له، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، فالإنسان جاهل لا يعلم شيئاً إلا ما علمه الله إياه.

٣ ـ **البخل**: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠] من صفات الإنسان أنه بخيل ممسك، وذلك لضعفه وجهله، وحاجته،

فيخاف من نقصان الرزق، ويخاف من الفقر، مع أنَّ الله خلقه وتكفَّل برزقه ولكنَّ جهله بربه الرزاق جعله يبخل.

٤ ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩] من صفات الإنسان الهلع، وهو الحرص الزائد والشح.

٥ ـ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١] وإذا كثر ماله وصار غنياً فإنه قد يمنع ولا يعطي المحتاجين، ولا ينفق في طاعة الله ويكون بخيلا.

٦ ـ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] من صفات الإنسان أنه يجادل ويخاصم، وذلك من ضعف إيمانه بربه، وإيمانه بالقدر المكتوب له، فلو حصل له أمراً لا يحبُّه فإنه يجادل ويخاصم، ولكن لو كان مؤمناً بربه واثقاً بأنَّ الخير فيما يختاره الله فسيطمئن.

٧ ـ ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠] أي إذا مسَّه الشر من مرضٍ أو قلَّ ماله فهو جزوع، كثير التضجر وقليل الصبر، فلو آمن بربه اللطيف الخبير لعلم أن كل شيء يكتبه الله على الإنسان هو خيرٌ له ويصرف عنه شراً لا يعلمه.



فقال ابني: عجباً يا أمي، أُلاحظ أن أغلب صفات الإنسان التي ذُكرت ناتجة من جهله وظلمه لنفسه!

فأجبته: نعم يا بني، بارك الله فيك وزادك الله علماً، الإنسان جهول، وإذا جهل بمن يرزقه وظن أنه هو يرزق نفسه فإنه يصاب بالهلع، ويخاف من الفقر ويصبح قتوراً بخيلا ممسكا منوعاً.

وإذا جهل بمن تكفل بحفظه، وظن أنه هو من يحفظ نفسه أو ظلَّ يبحث عن من يحفظه من الخلق الضِّعافِ، أو اعتمد على غير ربه، فإنه سيظل ضعيفاً قلقاً غارقاً في وَحَلِ الخَوْفِ، ويخاف من أيِّ شيءٍ يُهَدِّدُهُ، ويصَابُ بِالإحبَاطِ وانعدام الثقة، والخوف وعدم الأمان.

وإذا جهل بمن يدبِّرُ أمرَهُ وظن أنه هو من يدبر أمر نفسه، فإنَّهُ يعيش بقَلَقٍ وهمٍّ، وبكثرة التفكير بالمستقبل والاعتماد على نفسه الضعيفة، فيصاب بالأمراض والاكتئاب والحزن والخوف والقلق وانعدام الأمان والأمراض النفسية.

فلذلك يا بني إنَّ الجهــل هو من يدفع الإنســان للظلم فيظلم نفسه جهلاً منه باعتقاده أنه هو من يرزق نفسه، فيصيب نفســه بالقلق والهموم، ويظلم غيره بطمعــه وبخله وحرمان غيره من أداء الحقوق.



ففكر ابني قليلاً ثم بادرني بقوله:
أمِّي.. إن الإنسان لا يرزق نفسه
ولا يحفظ نفسه ولا يدبر أمر نفسه،
لكن ما هي إمكانات الإنسان
يا أمي؟

فقلت له: الإنسان ـ يا بنيَّ ـ ليس له حولٌ ولا قوةٌ إلا بالله الذي خلقه، فلقد خُلقَ الإنسان خلقاً ضعيفاً، لا يطير ولا يتشكل، فبصره محدود وسمعه محدود وإمكاناته محدودة وطوله محدود وحجمه محدود وإحساسه محدود، فلا يحس بحركة أعضائه الداخلية ـ كحركة المعدة والقلب والكبد والكلى والأمعاء ولا حركة جريان الدم ـ في جسده، وذلك رحمة به من الله الذي خلقه.

وكذلــك يا بنيَّ علمــه محدود، فالإنســان يجهــل ماذا سيحصل غداً؟ ويجهل ما الذي يحصل خارج الغرفة التي هو فيها؟ ويجهل كلَّ ما هو خارج حدود بصره.

وكذلك ينسى تفاصيل ما ســمعه ورآه في السابق، لذلك سُمِّي إنســاناً لكثرة نســيانه، وكذلك لا يعلم ما سيكون بعد اللحظة التي هو فيها! فهو جهول ضعيف خائف متعبٌ محتاجٌ للطعام والشــراب والنوم والرزق والأمان والحماية. فضعْفُ الإنسان دائمٌ ملازمٌ له. لذلك هو ليس مُكْتفٍ بذاته في طعامه وشرابه ورزقه وغير ذلك.



فتعجب من ذلك وسألني: أمي!
هذا الإنسان الضعيف ماذا يفعل وكيف
يعيش بهذا الضعف والنسيان والجهل
وقلة العلم مع حاجته للطعام
والراحة والنوم؟

ففرحت بسـؤاله، وقلت: نعم يا بني، لايستطيع الإنسان العيش لوحده بهذه الصفات لذلك هو يلجأ إلى التعلق بغيره، ويستمدُّ منه القوة والعون.

ولا أحد يملـك القوة المطلقة والعلـم المطلق والكمال المطلق غير الله سبحانه وتعالى.

لذا فالإنسـان ـ يابنيَّ ـ بحاجة للتعلـق بالله الذي خلقه، فهو بحاجة لمعرفة ربه القوي كي يسـتمد منه القوة، ويتقوى به ويطمئن، يحتاج أن يعرف أن الله حفيظ، فهو الذي يحفظه

فإذا علم ذلك فلا يخاف ويقلق، ويحتاج إلى ربه العليم؛ كي يعلِّمه ما جهل، يحتاج إلى رزاقٍ كريمٍ يكرمه ويرزقه ويطعمه، وإلى رحيم يرحمه، يحتاج إلى منَّـــانٍ يمنُّ عليه، يحتاج إلى حيٍّ قيومٍ لا ينام كي يرعاه دائما. يحتاج إلى ربه الملك الذي يملك كلَّ شيء.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الزمر: ٦].



قال ابني: هل الإنسان حر يا أمي؟

فقلت له: إنَّ الحرية يا بني أن يتحرر الإنسان من تعلق قلبه بالمخلوقات، ولقد حرّر الله الإنسان من عبودية الخلق وجعل ارتباطه به وحده مباشرة، فالإنسان حرٌ يابنيَّ ما دام متعلقاً بربه وحــده، وعلى هذا يابنــيَّ فالذين يعتقدون أن معنى الحرية ألا يملي أحدٌ على الإنســان أوامره ونواهيه، بل هي نابعــة من داخل نفســه، إنما يريــدون تحرره من ارتباطه بخالقه وأن يرتبط بنفســه، ولقد بينَّا خطورة ذلك يابنيَّ؛ لأن النفس عرفنا صفاتها فهي ظلومة جهولة هلوعة جزوعة، وقد قال النبي ﷺ في دعائه: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفســي طرفة عين، وأصلح لي شــأني كله لا إله إلا انت».

لذلك ـ يا بنيَّ ـ إن من يطيع أوامر نفسه هو في الحقيقة يتبع هوى نفســه بغير هدى من الله، والنفس يابني لها أهواء

تدعوها لخـــلاف الحق، وللهوى أمر ونهـــي، وهو أمر النفس ونهيها كمـــا قال تعالـــى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣]، ويملي عليها الشيطان أفكاره، فالمطلوب منا تجاه النفس نهيها عن الهوى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

فمن يتبع أوامر هوى نفســـه بغير هدى من الله تتحكم به كما تشاء، فهو متعلق بنفســـه، وبالتالي هو عبدٌ لنفسه وليس حراً، وتقوده نفســـه لما تريد، وهذا في الحقيقية يا بني أشد الناس أسراً وعبودية وليس حراً البتة، وهو أكثر الناس هموماً وحزناً لأن طلبـــات النفس لا تنتهي، فالحريـــة حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، والقلب خلقه الله مفطوراً بحبه ﷻ، ويحب الحق ويريده ويطلبه، فـــإذا ما عرضت له النفس إرادة الشر طلب القلب دفع ذلك، فإنها تفسد القلب، فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى؛ لأن القلب يابنيَّ هو محل الإرادة والنية، قال النبي ﷺ: «**آلا وإن في الجســـد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، آلا وهي القلب**».

فالقلب ملك الجسد والأعضاء جنوده، وهي خاضعة له تأتمر بأمره. فلا يمكن يابنيَّ أن تفعل يدك شيئاً لم يأمر به قلبك، ولا يمكن أن تقودك قدماك لمكان لا يعلم به قلبك.

ولأن القلب خلق نابضاً طالباً مريداً فلا بدَّ له من مراد يطلبه فيتحرك الجسد لما يريد القلب، فإذا لم يكن الله منتهى حبه وإرادته فإن القلب سيبحث عن مرادٍ محبوب، يستعبده هذا المراد فيكون عبداً له، فالقلب ملك الجسد ولا يتعلق إلا بملك الكون سبحانه، فيطمئن ويستقر لأن الله هو الملك الواسع المحيط بكل شيء، فإذا تعلقت بالواسع فأنت حرٌّ عما سواه يابنيَّ من تعلقك بالمخلوقات الأرضية الضعيفة.

فمن تعلق بمخلوق مثله فمتعلقه ضعيف، ومن تعلق بحبل الله الملك فحبل الله متين، ومن تعلق به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، وكل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، وهو بيده كل شيءٍ.

ومن يعتقد أنه حرٌ فهو في الحقيقة ـ يا بني ـ عبدٌ لشهوات نفسه، وعبدٌ لشيطانه وأوامره التي يلقيها في نفسه، وهو لا يعلم أن هذه من الشيطان لأن الشيطان يقذف في

النفس من خلال الهوى والشهوات ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فمن تعلق بالمال صار عبداً له، يقول الرسول ﷺ: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة**».

فالله خلق الإنسان ـ يابني ـ ضعيفاً كما ذكرت لك، وجعل كل حاجات الإنسان عنده، فهو الكامل وغيره ناقص، وهو الحي وغيره يموت وهو الباقي وغيره لا يبقى.

وأوكل به الملائكة وجعل قلبه مفطوراً على عبادة الله، فلا يطمئنُّ قلبه إلَّا بعبادة الله وحده؛ لذلك كان الإنسان المؤمن الذي يعبد الله أحبَّ إلى الله من الملائكة.



قال ابني: سبحان الله! ما أعظم الله!
حدثيني يا أمي عن الله

ـ فأجبته: الله ﷻ أخبرنا عن نفسه في كتابه الكريم يا بني، اقرأ ـ يابنيَّ ـ سورة الإخلاص إنها تعدل في فضلها ثلث القرآن،

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص].

الله سبحانه وتعالى واحدٌ أحدٌ، الذي لم يلد ولم يولد، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الحي الذي لا يموت، الصمد الكامل في صفاته ولا يعتريه نقص، ولم يكن له كفواً ولا ند ولا شريك ولا شبيه.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۢ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍۢ وَكِيلٌۭ﴾ [الزمر: ٦٢].

الله سبحانه خالق كل شيء في السماوات والأرض، فهو الذي خلق الجبال والشجر والبحار والشمس والقمر

والكواكب والحيوانات، وكلَّ شـــيء حتى صناعات الإنسان فهو وحده الذي خلق المواد وسخرها للإنسان وأعان الإنسان على صنعها، فهوِ خلق كل شيءٍ تراه أعيننا.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الله ليس كمثله شيء من مخلوقاته؛ لأنه سبحانه هو الذي خلقها، وهو كاملٌ في صفاته، وهو ســميع يســمع كل شيء وبصير يبصر كل شيء.

قال تعالــى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨].

الله عالم كل شيء في السماوات والأرض، وكل ما يغيب عن علم الإنسان من الماضي والحاضر والمستقبل، وما تخفيه الصدور من الخير والشر، فهو عليم بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



فقال ابني: سبحان الله ما أوسع علم الله يا أمي؟؟!
هل يعلم ربنا كل شيءٍ مهما كان الشيء مخبَّأً؟!

فقلت: لا أحد يستطيع أن يخفي شيئاً عن علم الله أو يختبئ عن نظره سبحانه.

ـ قال تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

إن الله يسمع ويرى ويعلم كل شيء، وهو خالق كل شيء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. فمهما حاول أحد إخفاء شيء فإن الله يراه ويعلمه.

ـ وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

يعلم ﷻ كل شيءٍ حتى الحركات من الجمادات حتى لو سـقطت ورقة شـجر فإنه يعلمها، ويعلم سـقوط الحبة في ظلمات الأرض سبحانه وسـع علمه كل ذلك يعلمه وهو في كتاب قبل أن يخلقها.

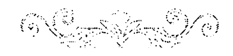
ـ وقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

كل ما عند الإنسـان من مـال وطعام وغيـر ذلك، وكل ما يملكه الإنسان وغيره فإنه ينفد وينتهي وأما ما عند الله فإنه باق لا ينفد.

ـ وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ [الحجر: ٢١].

ـ وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد: ٣٨].

لا يوجد شيء تطلبه نفسـك يا بنيَّ، إلا وعند الله خزائنه الكاملة التي تُطلب منه ولا تنفذ، وهذا يدل على أنَّ الله غنيٌّ وكامل الغنى ﷻ.





فسألتُ ابني: هل تعلم يا بني ما هي أعظم آية في القرآن؟

فقال: إنها آية الكرسي.

فقلت: أحسنت يا بني.

ـ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الله سبحانه وتعالى لا إله إلا هو حيٌّ لا يموت، قيُّوم بنفسه لا يحتاج لغيره سبحانه، يفعل ما يشاء وقيوم يقوم بتدبير أمر كل مخلوقاته في السماوات والأرض في خلقها ورزقها وتدبير أمرها.

ولا تأخذه سنة وهي النعاس، ولا نوم لأنه حي قيوم.

له ملك وتدبير كل ما في السماوات والأرض.

لا أحد يشفع لأحد ولا ينفع أحد إلا بإذنه، فالشفاعة كلها لله ولا تكون إلا بإذنه.

يعلم سبحانه ما بين أيديهم من أمورهم الحاضرة والماضية، وما خلفهم من المستقبل فالله محيط بعلم كل شيء، ولا أحد يحيط بشيء من علم الله إلا بما شاء. وسع كرسيه السماوات والارض، فكرسي الله عظيم وهو أكبر من السماوات والارض مجتمعات، والكرسي هو موضع قدميه سبحانه وتعالى العظيم الجليل.

ولا يؤوده ولا يشق عليه ولا يثقله حفظ السماوات والارض ومن فيهن؛ لأنه هو العلي بقدره وكماله، العظيم الكامل في قوته وعظمته وجبروته وكبرياءه، الذي كل شيء دونه وكل ما سواه هو صغير وضئيل.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب، وهو كل ما يغيب ويخفى على عباده، وهو عالم الشهادة والعلانية، ويعلم ما كان وما يكون.

هو الرحمن رحمة عامة لكل المخلوقات، فرحمته وسعت كل شيء حتى الكفار.

وأما الرحيم فهي رحمة خاصة بعباده المؤمنين.

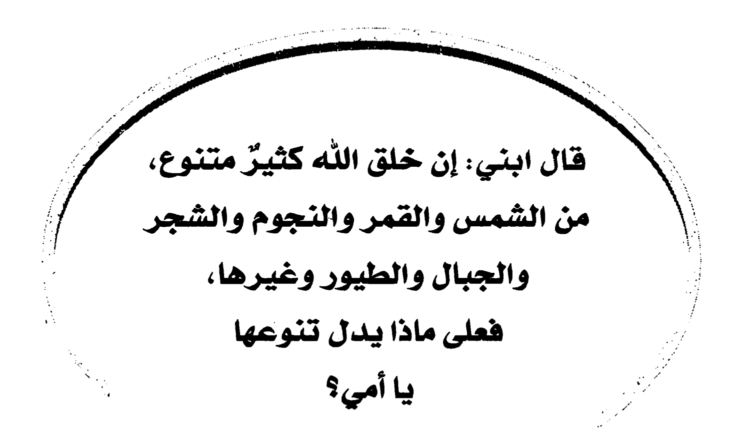
هو الملك الذي له ملك السماوات والارض وما بينهما.

القدوس السلام المقدس المنزه والسالم من كل نقص وعيب.

وهو المؤمن المصدق لكل من جاء بالصدق من عنده من الانبياء والرسل، ويُأَمِّنُ كل من صدق بهم من عذابه ومن كل خوف. وهو المهيمن المسيطر والرقيب على كل شيء.

العزيز الجبار المتكبر الذي كملت عظمته وقهره لكل شيء، لا يعجزه شيء جبار يجبر كسر المنكسرين، وجبار يكسر ويقهر كل من يتكبر من الظلمة على عباده، سبحانه المنزه عن كل شريك.





فقلت: نعم يا بني، يدل تنوعها على عظمة الله وعلى قدرة الله وإتقانه للكون، وإحكامه وتدبيره له، وحكمته سبحانه، وآثار رحمة الله.

وكل ما تراه من المخلوقات من آثار قدرة الله في الكون يقول الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١]. فالله سبحانه جعل لنا آيات وعلامات لتزيد عند الإنسان اليقين والإثبات على وجوده سبحانه وتعالى.

يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

فالآيات الكونية تزيد الإنسان علماً بقدرة الله وبكمال علمه سبحانه وإحاطته.

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الرعد: ١٦]، فالله هو رب كل شيء، فهو يدبر أمر كل المخلوقات ويصرف شؤونها بإحكام وإتقان.

وبهذه الآيات تحدَّى الله المشركين الذين تعلقت قلوبهم بغيره من الأوثان، وجعلوا لله شركاء، يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠]، فهذا يزيد عند الإنسان المعرفة بالله، والإثبات على وجوده سبحانه، والإيمان به، وعلى قدرته وكماله وعظمته وإفراد الله بذلك.

وهذا يابني هو توحيد الربوبية، وهو إفراد الله بأفعاله هو، كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والنفع والضر وغيرها.



فأجبته: وفقك الله يا ولدي، سؤال جميل..

إن الله ﷻ كامـــل في صفاته وفي أســـماءه، وله المحامد كلها، ويحبُّ أن يُطلب منه، ويُحبُّ أن يُدعا بأسمائه وصفاته؛ لأنَّه سبحانه له الكمال المطلق؛ لذلك خلق الله الخلق لعبادته؛ فخلق الملائكة تعبده ولا تعصيه أبداً كما قال الله عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ثم خلق الله آدم وذريته من العدم؛ ليُجْرِيَ عليهم أحكام أســـمائه وصفاته، فمن كمال الله ظهور آثـــار كماله في خلقه

وأمره ونهيه، وفي تدبيره للكون ورزقه، وعطاءه ومنعه ووعده ووعيده، (والله ﷻ يُحبُّ نفسه ويثني على نفسه ويحمد نفسه، فلا أحد أحب إليه ممن يحبه ويحمده ويثني عليه ومن أجل ذلك كان الشرك بالله هو أبغض الأشياء إليه؛ لأنه ينقص هذه المحبة ولهذا لا يغفر الله أن يشرك به)(١). (ولذلك سبحانه هو المقصود المراد المحبوب لنفسه ممّا فعله خلقًا وأمرًا، وبهذا يتبين أن حقه على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا)(٢).

لذلـك خلق الله البشـر خلقاً ضعيفـاً صغيراً فـي حجمه، محدوداً في علمه وإمكانياته، وبيَّن لـه طريق الحق، وجعل له إرادةً واختياراً، يختار بها الطريق الذي يريده، فإنَّ الله خلقنا لكي نحبَّهُ ونتذلـل له، وكمال المحبـة مع كمال الذلِّ هـي العبادة يا بنيَّ. والعبادة هي الغاية من خلق الله للإنسان، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريـات: ٥٦]، والله غنيٌّ عنها، لكنها حقٌّ من حقوق الله على عبـاده؛ لأنه خلقهم فحقه عليهم العبادة، فالعبد لابدَّ له مـن رزق وهو محتاج إلى ذلك، فإذا تعلق رزقه بالله صار عبداً له فقيراً إليه، وإذا تعلق بمخلوق

---

(١) ابن القيم طريق الهجرتين / ٢٣٩.

(٢) جامع المسائل لابن تيمية، تحقيق عزيز شمس ١٠٨/٦.

صار عبـــداً لذلك المخلوق، لقوله ﷺ: «من يســـتغنِ يغنه الله»، فمن استغنى عن الخلق وتعلق بالله أغناه من فضله.

وعبادتنا الله غنيٌّ عنها، فعَنِ النَّبِـــي ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَــارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ «يَـــا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْــتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْــتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْــتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُــوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَـــا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَــكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِــدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَــيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَــكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُــلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّــا عِنْدِي. إِلَّا كَمَــا يَنْقُصُ الْمِخْيَــطُ إِذَا أُدْخِلَ

الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَــنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».



سألني ابني: ولكن كيف تكون عبادة الله يا أمي؟

فقلت: عرفتَ معنى العبادة يابني وأنها كمال الحب لله مع كمال الذل لــه. فكل عمل يحبه الله ويرضــاه يكون عبادة إذا فعلته خاضعا لله.

واعلم يا بنــي أن الحب هو محــرك إرادة القلب للفعل، وكلمــا ازداد القلب حبــا لله ازداد لــه عبودية، فــكل محبة لا تكون لله فهي باطلــة، وكل عمل لا يُراد بــه وجه الله فهو باطل، فالعبادة هي: اســم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث والأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحــام، والوفاء بالعهود، والإحســان للجار واليتيم والمســكين وابن الســبيل والبهائــم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك كلها من العبادة. وأيضاً حب الله ورسوله ﷺ وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشــكر لنعمه والرضــا بقضائه والرجــاء لرحمته،

والخوف من عذابه والتوكل عليه، وأمثال ذلك كلها عبادات لله. لأن العبادة لله هي الغاية التي يحبها الله وخلق الخلق لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وبها أرسل جميع الرسل عليهم السلام.

إن توحيد العبادة: هو المسمى توحيد القصد والطلب، وهو إفراد الله بأفعال العباد الظاهرة والباطنة.

فإن الإنسان يقصد بطلب حاجاته وجه الله، ويفرده وحده بالطلب والقصد، وهذا يابنيَّ يعتمد على محبة العبد لله وتعظيمه في قلبه وتذلله وخضوعه له.

فإن كان الله هو المَلِكُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الذي يملك كلَّ شيءٍ في السماوات والأرض، كلُّ حاجاتنا يملكها الله سبحانه وتعالى الذي خلقنا.

فكيف نطلب حاجاتنا من غير الله وهي عنده؟ وكيف نخاف من غير الله ونطلب الحفظ من غير الله وهو وحده العليم القوي الحفيظ!

لذلك ـ يابني ـ إنَّ الله وحده المستحق للعبادة.

والعبادة ـ يا بني ـ عبادة بالقلب وبالجوارح، فإذا علم القلب عن الله وكماله وأسمائه وصفاته، ووحّد الله بأسمائه

وصفاته وهذا هو توحيد الأسـماء والصفـات، وهو إفراد الله تعالى بأسـمائه وصفاته، وأنه هـو الكامل الـرزاق المقيت المعطي الكافي، نعبده بطلب الرزق، فيطعمنا ويقيتنا ويعطينا ويكفينا، لأنه الحي القيوم الصمـد نعبده بطلب تدبير أمورنا وحفظنا، ولأنـه الهادي نعبده بطلب الهدايـة فيما نحتار من أمورنا فيهدينا.

ولأنه القوي العزيز الجبار سريع الحساب المنتقم المؤمن المهيمن نعبده بخوفنا من عقابه، فيؤمننا ويحفظنا من أعداءنا ويحفظنا من الشرور، ويجبر قلوبنا، وينتقم لنا

وتسلِّمُ جوارحنا لله فلا تعمل إلا ما يرضي الله، وهذه هي العبادة فنعبده بما يحب من العبادات والأقوال والأعمال التي يرضاها سبحانه، فهو الذي خلقنا وهو وحده الأعلم بنا وبما يصلح لنا.

واعلم يابنيَّ: أنّه كلما ازداد علم الإنسـان بربه وبصفاته وأسـمائه يزداد إيمانه به ويزداد يقينه بربه ويـزداد تعلقه به، وبذلك يزداد حب الله في قلبه وتزداد إرادته لفعل الخير وطلبه له والبحث عن رضا الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا﴾ [البقرة: ١٦٥] نسأل الله أن يعلمنا به، وأن يقربنا منه.

فسألني: أمي، هل العبادة تكون في كل وقت من حياة الإنسان، أم فقط في أوقات معينة، كالصلوات والصيام والذكر؟

فأجبته: ذكرت لك يا بني أن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعـال الظاهرة والباطنة. وهذا في كلِّ حياة الإنسان وشؤونه.

والعبودية - يا بُنيَّ - هي كاللباس، يرافق الإنسـان في كل أوقاته، وفي يقظته ومنامه، بل هي كالصبغة قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

والعبودية صفة دائمة لكل وقت، فإنك فوق أرضه وتحت سـمائه وتأكل من رزقه فهو الذي خلقـك، وهو من يطعمك

ويرزقك، فأنــت عبدٌ له فــي كل أوقاتــك، ما دمت ضعيفا ومحتاجا لله فاعبده بما أمــرك، ولا تغفل عن ذلك، واحرص على رضاه فــي كل وقــت، فأعمالك ـ يابنــيَّ ـ هي ما بين الأقوال أو الأفعال فكلٌّ قولٍ وكلُّ عملٍ تعمله لابد أن تحرص على رضا الله فيه، وأن تكون نيتك خالصة لله وحده.



أمي: هل الله سبحانه يحبُّ الإنسان؟

نعم يا بني، الله يُحِبُّ خلقهُ، ولقد كرَّم الإنسان وفضَّله على سائر المخلوقات، فلقد خلق الله الإنسان لنفسه وسخَّر المخلوقات للإنسان، لذلك كرمه على سائر المخلوقات وشرَّفه.

فإن الله لما خلق آدم أبو البشر: ـ

١ ـ خلقه بيديه يقول الله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥].

٢ ـ ويقول: ﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾ [الحجر: ٢٩].

٣ ـ ويقول ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

٤ ـ ويقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

٥ ـ طلب من الملائكة أن يسجدوا لآدم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [طه: ١١٦].

٦ ـ كرَّم بنـــي آدم ورزقهم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

٧ ـ فضله الله على كثير من المخلوقات ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

٨ ـ وســخر الله له المخلوقات: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٣].

يقول ابن القيم: (فاعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنســان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشــرفه وخلقه لنفسه، وخلق كل شيء له، وخصه من معرفته ومحبته وقربه وإكرامه بما لم يعطه غيره، وسخر له ما في سماواته وأرضه وما بينهما حتى ملائكته الذين هم أهل قربه استخدمهم له، وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته) (١).

أمَّا المؤمن فله مكانة خاصة عند الله ومحبة.

(١) ابن القيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

أما الذين لا يؤمنون بالله، ويكفرون به ويجحدون وجوده، مع أنه هو الذي ينعم عليهم ويحفظهم ولا يعترفون به، فأولئك عليهم سخط وغضب من الله، ويجري عليهم أسمائه وصفاته، فهو المنتقم القوي العزيز ولا يحبهم، ومهما أعطاهم في الدنيا فإن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضه، فليس لهم في الآخرة نصيب من الجنة، بل مصيرهم إلى النار.

﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢] و﴿يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].



ولكن من هم الملائكة يا أمي؟

فقلت: الملائكة يا بني، هم جنود الله، خلقهم الله من نور، وهم خلقٌ كريمٌ، وعددهم كثيرٌ، ولا يحصي عددهم إلا الله، ولانراهم، ووجودهم يبعث على الطمأنينة والراحة والسكينة والرحمة والأُنس والنور وانشراح القلب.

- ولهم قوة وخلقة عظيمة يقول الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١].

وهم يعبدون الله ولا يعصونه، قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣] وقال تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ـ وهم الذين يدبرون أمر الله في السماوات والأرض قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥].

ـ منهم حملة العرش: قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

ـ ومنهم من ذكر اللهُ ورسولهُ ﷺ أسماءهم، ومنهم من لم تُذكر أسماؤهم.

ـ وأفضلهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل.

ـ وكلُّ حركةٍ في الكونِ هي من أمر الله تنفذه الملائكة: قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧].

ـ جبريل عليه السلام. هو روح القدس.

ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١].

وهو أفضل الملائكة، وخصَّهُ الله بنقل الوحي من الله إلى الرسل عليهم السلام.

ـ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

ـ ميكائيل: وهو الملك الذي أوكله الله بالمطر والنبات.

ـ إسرافيل: وهو الملك الذي أوكله الله بالنفخ في الصور.

لمَّا خلق الله آدم أمر الملائكة بالسجود لآدم، فسجدوا كلهم طاعة لله وحبَّاً له، لذلك جعل الله مع الإنسان ملائكة تحفظه بأمر الله من الشُّرور وتحرسه من المخاطر ومن أعداءه من الهوام ومن الشياطين، فمنذ أن يخلق الله الإنسان يجعل معه ملائكةً وهو في بطن أمِّه.

ثمَّ إذا خرج من بطن أمِّه يكونُ مَعَهُ ملائكةٌ تتعاقب عليه وتَحْفظهُ من المؤذيات ومن الجنِّ والشياطين والأمراض والآفات. ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١] وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١].

ـ ومنهم من هو موكّل بحفظ أعمال بني آدم خيرِها وشرِّها، وكتابتها: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

قال رجل لعلي بن أبي طالب: (إن نفراً من مراد يريدون قتلك، فقال عليٌّ: إنَّ مع كلِّ رَجُلٍ مَلَكَين يحفظانه مما لم يُقدَّر، فإذا جاء القدر خَلَّيا بينه وبينه، إنَّ الأجل جِنَّة حصينة).

ـ قال مجاهد: (ما من عبدٍ إلَّا لهُ مَلَكٌ، مُوكَلٌ بحفظه في نوْمِهِ ويقظته من الجنّ والإنس والهوام، فما منها شيءٌ يأتيه إلا قال له الملك: وراءك، إلا شيءٌ أذن الله فيه فيصيبه).

ـ قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**» حديث رواه مسلم.



ولكن يا أمي! علمتُ أن الملائكة تكون مع المؤمن والكافر، فهل للمؤمن رفقة خاصة من الملائكة؟

فأجبته: الملائكة التي تكتب أعمال الانسان والملائكة التي تحرس الانسان مما لم يُقدَّر له من الأقدار هذه ترافق كل البشر يابني.

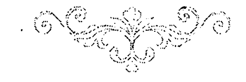
ولكن للمؤمن بالله معية خاصَّة من الله، فالمؤمن يُحب الله ويحبُّه الله وهو قد صار من حزب الله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ويرسل له جنوده من الملائكة تؤيده وتنصره وتدافع عنه وتثبته وتحرسه في كل أحواله.

ـ الملائكة تحب المؤمنين وتثبتهم: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

ـ والملائكة تدعو لهم وتستغفر لهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ـ والملائكة تدافع عنهم وتحميهم وتنشر الراحة والطمأنينة في قلوبهم وتسددهم في أفعالهم وأقوالهم، وتلهمهم الحق، وتهديهم للأفكار الصائبة وتدلهم عليه في دينهم ودنياهم، فوجودهم نورٌ وانشراح وبركة.

ـ وأنها تُأمِّنُ على دعواتهم، وورد في الحديث «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون» حديث.



فقال ابني: لقد أحببت الملائكة يا أمي فهل الملائكة تكون دائماً معنا؟

فأجبته: لابد على الإنسان المؤمن الإكثار من الذكر ومن مجالس الذكر ومن صحبة المؤمنين، والابتعاد عن المعاصي والمنكرات؛ لأن الملائكة جنود الله، ولابد من الحرص على الابتعاد عن ما يتأذى منه الملائكة، ومن ذلك:

١ ـ الذنوب والمعاصي؛ فالملائكة لا ترافق المؤمن وقت معصيته إلا من أمرهم الله بكتابة سيئاته.

٢ ـ والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم من الثوم والبصل والكراث، فمن أكلها فلا يذهب للمسجد، وكذلك تتأذى من الأقذار والأوساخ؛ لقوله ﷺ: «**إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**» حديث.

٣ ـ (إِنَّ المَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيْهِ صُوْرَةٌ). قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: (وَأَمَّا هَؤُلَاءِ المَلَائِكَةُ الَّذِيْنَ لَا

يَدْخُلُوْنَ بَيْتًا فِيْهِ كَلْبٌ أَوْ صُوْرَةٌ، فَهُمْ مَلَائِكَةٌ يَطُوْفُوْنَ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّبْرِيْكِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَأَمَّا الحَفَظَةُ: فَيَدْخُلُوْنَ فِي كُلِّ بَيْتٍ، وَلَا يُفَارِقُوْنَ بَنِي آدَمَ فِي كُلِّ حَالٍ، لِأَنَّهُمْ مَأْمُوْرُوْنَ بِإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ وَكِتَابَتِهَا.

فإذا خرجت الملائكة بسبب ذنب أو معصية فإن هذا يجعل الشياطين التي هي عدوٌّ للإنسان أن تحضر، وترافقه وتؤذيه وتستزله للباطل وتدعوه لما يهلكه.



لقد عرفتُ يا أمي لماذا الإيمان
بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان
والإيمان بهم ضروريٌّ جدًا.
ولكن يا أمي: كيف هو حال إنسانٍ
لايُؤمنُ بالملائكة؟

فرددت عليه: أنَّ من لا يؤمن بالملائكة ـ يابنيَّ ـ، يعيش قلقاً وفزعاً ويظـــنُّ أنَّ أُمُورَ حياته ورزقه هو بنفســه يدبِّرها، فيقلق ويهتمَّ كثيـــرا لكل أمرٍ، ويهتم كثيـــراً عند كلِّ أحواله، ويظـــن أنَّ لا مدبِّر للكون، وأنه هو المســؤول عن تدبير كل شيء مع جهله وضعفه وقلة علمه، فهو يكلِّف نفسه في تدبير ما لا يمكنه من أمور جســده وأمور حياته ومعيشته مع عدم قدرته على ذلك. لذلك تنتشر الأمراض النفسية ويزداد القلق والعجز والقهر ولوم النفس عند من لا يؤمن بالله وملائكته.

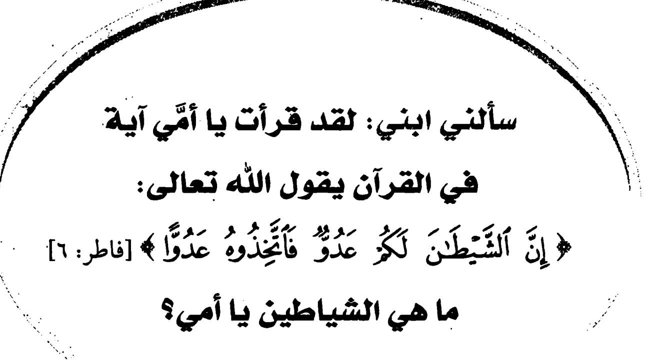
إن الإيمان بالملائكة يابنيَّ فطريٌ ضروريٌّ لا يستقيم أمر الإنسان إلا به، ولا يصلح حاله إلا به.

فالله الذي خلقك هو من سخَّر لك ملائكته تدبِّرُ أوامر الله في حياتك، وحتى أوامر الله في جسدك فهو الذي تكفل بجميع شؤونك، فهل نظنُّ أننا نحفظ أنفسنا أو أننا نحفظ أبناءنا أو أننا نحفظ بيوتنا؟!

يابنيَّ! إنَّ الحافظ هو الله، يرسل علينا حفظة من الملائكة بأمره.

وكذلك الهداية من الله، يجعل الله لك ملائكة ترشدك وتدلك على الطريق الصحيح، فلن تضل ولن تضيع ما دمت معتصماً بالله متقياً متوكلاً عليه، فإن الملائكة يابني تدفع عنك شر الشياطين التي تحاول إضلال الإنسان وإلحاق الشرور به.

فاحرص ـ يا بنيَّ ـ على طاعة الله وتقواه؛ حتى يرسل لك جنوده من الملائكة فترافقك، ولا تقلق، واعقلها وتوكل.



فأجبته: حفظك الله ـ يا بنيَّ ـ من شرها وكيدها..

الشياطين يا بنيَّ هي أبناء إبليس، الذي رفض السجود لآدم، وهم من الجنِّ، ولقد خلقهم الله من نار، وهم يروننا ونحن لا نراهم.

ـ لمَّا خلق الله آدم احتقر إبليس خِلقَتَهُ؛ لأنه مخلوقٌ من التراب فرآه ضعيفا جدا، فظن إبليس أنه خيرٌ منه؛ لأنه خُلق من نار.

ـ فحينما أمر الله بالسجود لآدم سجد كل الملائكة، فهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، لكن

إبليس رفض السجود استكباراً، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠]، فقال إبليس مستكبراً: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٣] فقال سبحانه له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢] فأجاب: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦]. فطرده الله من الجنة وقال له: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٤ - ٣٥] طلب إبليس من الله طلب واستجاب الله له: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر: ٣٦ - ٣٨].

- ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٣].

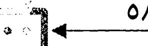
من هنا بدأت - يابُنيَّ - عداوة إبليس لآدم وذريته حين أمره الله بالسجود لآدم، فتكبر ورفض أمر الله. فالسجود فيه تكريم لآدم وإخضاع للسّاجدين له.

فالملائكة ـ يابنيَّ ـ هم جند الله، وسجدوا لآدم طاعة لله؛ لأنهم لا يعصـون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمـرون، ولقد أوكل أمور بني آدم لهـم، فهم يحفظون ابـن آدم، ويكتبون أعماله ويستغفرون له ويعينونه، ويرشـدونه، ويتسابقون إليه حينما يذكـر الله ويعبُـد الله، ويتقرَّبون برفع عمـل ابن ادم الصالح إلى الله، لأنهم يعلمون محبة الله للعبد المؤمن.

ـ وأمَّا رفض إبليس الخضوع يعني إعلان التمرد والعداوة لآدم وذريته.

فاجْتَهَدَ إبليس في أوَّلِ عمل له وهو محاولة مخادعة آدم وحواء وإخراجهما من الجنة وذلك بإغوائهم بأكل الشـجرة التي نُهُوا عن أكلها، وادَّعى أنها شجرة الخلد، وتعطيهم ملكاً لا يفنى ولا يبلى وزينهـا لهم حتى أكلوا منهـا ليغضب الله عليهم ويخرجهم من الجنة كما أخرجه هو لما رفض السجود! ولكن آدم وحواء قد تابا إلى الله واستغفرا من أكلهما الشجرة التي نهوا عنها، وهبطوا إلى الأرض.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].



ولكن يا أمي! كيف يطيع الإنسان الشياطين ويتبعهم في خطواتهم، مع أننا لا نراهم؟

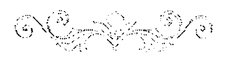
فقلت: ـ يابنـــيَّ ـ إن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وقد قال رسولنا ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا وكل به قرينه من الجن**» حديث.

ويقول رسول الله ﷺ: «**إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأمَّا لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأمَّا لمة الملك، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فيحمد الله، ومن وجد الأخــرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم**». فكل باطل وشرٍّ وكل فعلٍ سيءٍ إنما هو من تزيين الشــيطان للإنســان، فيحثــه حتى يوقعه فــي الباطل. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

فالشيطان يأمُرُهُ بالفساد وبالفجور وبكلِّ ما يخالف الحق، ويغريه بذلك، ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾ [النساء: ٣٨] والملائكة ـ يابنيَّ ـ تنهاه عن ذلك وتأمره بالخير، فالمؤمن إذا شعر بأن الأفكار الشيطانية تأتيه، ووجد من نفسه الشيء الذي يغريه بالشر ويدفعه إليه ويزينه له فهذا من الشيطان، فعليه أن يستعيذ بالله منه.

وإذا وجد من نفسه دافعاً يدفعه إلى الخير ويزينه له ويحثه عليه فهذا من الملَك، فليحمد الله على ذلك.



نعوذ بالله من شر الشياطين، أخبريني يا أمّي: ما هي طريقة الشياطين في عداوتها للإنسان؟

فقلت: لقد بيَّن الله لنا يابُنيَّ في القرآن عداوة الشـياطين وكيدهم في كثير من الآيات بل أهم قضايا القرآن هي التحذير من الشياطين.

نستعرض بعضاً منها:

إنَّ للشـياطين خطوات: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩].

فإنَّ الشياطين ـ يابُني ـ لا تأمر بأمر باطل صريح واضح ولكن تأمره بخطوات التي تراها سـهلة ومحببة إلى نفسك، فهي لم تأت لآدم تقول له: اعـص ربك، لكن بدأت بخطوة إغراءه بالخلد والملك، ثم خطـوة إقناع زوجته حواء وهكذا تدرجت في إغواءه في عدة خطوات.

ـ الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء والمنكر: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

إن الغذاء والطعام واللباس أرزاق الإنسان التي تكفل الله له بها، ولكن الشياطين تخوّف الإنسان إذا أنفق أنه قد يقع في الفقر وينقص ماله، فيأمره بالبخل، وفعل المنكر من السرقة والغش في التعامل، والخداع في العمل، ولكن الله يعدنا بالمغفرة والفضل منه إذا اتقى الإنسان تتوالى عليه الخيرات من الله.

ـ الاستزلال: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

لما يكسب الإنسان السيئة ويعمل الذنب يكون هذا الذنب مدخلاً للشيطان عليه فهو الذي أدخله على نفسه ومكنه منه، وإلا فإنَّ الشياطين ـ يابنيَّ ـ لا يمكن أن تتسلط على المؤمن ولكن بما يكسب إثما فيستزلهم ويحملهم على الزلل الآخر والخطوة الشيطانية الأخرى.

ـ التخويف: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فالشياطين ـ يابني ـ هي

من تخوف الإنسان من البشر وترهبه منهم وهم أضعف مايكونوا أمام الإنسان المؤمن المعتصم بالله، فلا تخاف الشياطين وخاف الله الذي خلقهم وخلق كل شيء فإن من يخاف الله يرسل له جنوده فيقويه على كل شيء، ويكون آمنا من كل شيء.

ـ المصاحبة والاقتران: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

إن المعاصي ـ يابني ـ هي من حث الشيطان، فإذا أطاع الإنسان شيطانه فإنه يظل الشيطان معه مصاحباً له، وصاحباً له، فيقذف في نفسه الأفكار السيئة والتخويف ويستزله وكل أفكار الشيطان ضلال وضياع، فبئس هذا الصاحب.

ـ الإضلال والتخذيل: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩].

الشيطان يكره ذكر الله فيحاول صد الإنسان، وإبعاده وإضلاله عن الذكر والعبادة وقراءة القرآن بخداعه وتخذيله؛ لأن من صفات الشيطان التخذيل، فيعده بالأماني ثم يتخلى عنه ويتبرأ منه.

- الهدف الشيطاني: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

أهم إرادات الشيطان وأهدافه هي الضلال البعيد، فيبعدهم عن الطريق المستقيم.

- إلحاق الضرر والتعب: ﴿أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

الإنصاب هو محاولة لحق الأذى والمشقة والتعب بالجسد وإمراضه، وهي محاولة منه لإقعاد الإنسان عن العبادة، فكما نعلم أنه لما عجز عن نبي الله أيوب أمرضه في كل جسده، فلم يستطع أن يمتلك قلبه ولا لسانه، فسلم الله له قلبه ولسانه، فكان قلبه شاكرا متعلقا بالله، ولسانه ذاكرا له.

- إضلال بني آدم وإلقاء الأماني الدنيوية الكاذبة، وإعطاء الأوامر: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ

وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۞ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١١٧ ـ ١٢٠].

إلقاء الأمنيات الباطلة التي تضيع وقت الإنسان؛ فكم نلاحظ اليوم من كثرة أمنيات الناس وكأنهم معهم ضمان أنهم سيعيشون حتى يحققوا ما يتمنون! ولكن هذا من خطوات الشيطان؛ ليجعل الإنسان يتمنى ويضيع وقته ويطمع فيما ليس له.

كذلك يأمرهم بتغيير خلق الله؛ بإجراء العمليات التجميلية التي ليس لها مبرر سوى عدم الرضا بما خلق الله، وعدم الرضا بتدبيره، ويشمل أيضاً تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله خلق عباده مفطورين على الحق فجاءت الشياطين فاجتالتهم وأبعدتهم عن هذا الخُلق الجميل، وزيَّنت لهم الشرَّ والباطل[1].

ـ الشَّيطَانُ يبلغ في كيده حتى إلى أنه يعمل أعمالاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١].

---

(١) تفسير ابن سعدي بتصرف

إن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس ونجس وشرٌّ، وكلُّ شر إنما يعمله الشيطان الذي هو أعدى أعداء الإنسان، فيدعو إليه أولياءه من شياطين الإنس والجن، خصوصاً هذه الأعمال التي يعملها ليوقع الناس في الباطل، ويصدهم عن ذكر الله والعداوة فيها هلاكه، فمن أهدافه إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، ففي الخمر السُّكر وهو ذهاب للعقل، فيقع الإنسان في المنكر.

ـ الصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]. إنَّ الصلاة ـ يابنيَّ ـ هي أعظم صلة بين العبد وربه ففيها يناجي الإنسان ربه ويقف بين يديه، لذلك فإن الصلاة أشد ما تكون على الشياطين فهم يحاربون إقامتها ويحاولون يصدون الإنسان عن الاتصال بربه، ويشغلونه بما هو ليس ضروري حتى يؤخرونه عن الصلاة.

ـ زين للناس عمل المنكر: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

[الأنفال: ٤٨].

قد يتمثل الشيطان بصورة بشـــر يحث الناس على المنكر ويشجعهم عليه كما حصل في معركة بدر، فقد تمثل للمشركين في صورة رجل من بني مدلج هو سراقة بن مالك، فقال لهم: لا عليكم لن يغلبكم أحد؛ أنا أجيركـــم وأحميكم فلما تقابل الفئتان ورأوا بعضهم، رأى الشـــيطانُ الملائكة جنود الله تقاتل مع المؤمنين ـ وكما أخبرتك أن الملائكة دائماً ترافق المؤمن وتدافع عنه ـ خاف الشيطان، ونكص على عقبيه وهرب وقال إني أرى مالاترون؛ لأنه رأى الملائكة والبشر لا يرونهم..

ـ يُنْسِي الإنسان ليقعده مع الخائضين في آيات الله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨]. فإذا تذكر الإنسان فلا بد أن يغير مكانه ولا يقعد مع الخائضين بالباطل.

ـ الاســـتحواذ: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

فالاســـتحواذ ـ يابنـــيَّ ـ هو أعلـــى درجة من التســـلط الشيطاني على الإنســـان، فيســـتولي عليه ويجعله من حزب

الشـيطان، فلما يعمل الإنسـان المنكـر تلو المنكـر ويتبع خطوات الشيطان فإنه يستولي عليه ويستحوذ عليه ويكون من حزب الشيطان.

ـ الدعوة للكفر بالله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦].

ـ من أهم أهداف الشـيطان هـو دعوة ابنـاء آدم للنار: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۞ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٥ ـ ٦].

ومن حسد الشيطان لأبناء آدم أنهم يحاولون إدخال أكبر عدد من الناس للنار؛ لأن الشياطين محكوم عليها بالنار.

فالشـياطين ـ يابنيَّ ـ تحـاول أن تُكثِّر الأتبـاع لهم من الناس، فالمؤمـن الذي تفضل الله عليه بالايمان لا تسـتطيع الشـياطين التسـلط عليـه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

وكيف يكون عمل الشيطان مع المسلمين يا أمي؟
وكيف يمكن مدافعة خطرهم؟

فأجبته: إن عباد الله المؤمنين المتقين ـ يابنيَّ ـ جعلنا الله وإياك منهم معتصمون بالله، فلا يجد الشيطان عليهم سبيل ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢].

من طرق الشياطين على الصالحين الوسوسة، فالشيطان يوسوس للإنسان في البداية، فإن ذكر الله واستعاذ بالله من شره خنس واختفى يقول الرسول ﷺ: «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**» حديث، فهذه أولى خطواته.

ثم إن استجاب له وفعل الذنب فيستزله بما كسب من هذا الذنب ويدخل عليه من خلاله فلابد من التذكر والاستغفار والتوبة من الذنب.

كذلك من خطواته على الصالحين: محاولة النزغ والمسّ، وعلاجه الإستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والتقوى وكثرة

ذكر الله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ـ من طرقهم الهمز والحضور ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨] ومن طرق مدافعة شرهم بهذا الدعاذ فيستعيذ بالله من الشر الذي يصيب الإنسان بسبب مباشرتهم وهمزهم ومسهم ومن الشر الذي بسبب حضورهم ووسوستهم[1].

ـ ومن طرقهم النزغ بين المؤمنين وعلاج ذلك باختيار القول الأحسن: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

فالنزغ هو السعي بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم، فالمطلوب أن يختار الإنسان القول الأحسن لوالديه وإخوانه وأرحامه وجيرانه، حتى لا يدخل الشيطان فيتسبب بالعداوة والبغضاء التي هي من أهدافه، فهو يحاول القطيعة بين

---

(١) تفسير السعدي

الإرحام، ويحـاول أن يوقع الطلاق بيـن الزوجين ويحاول الهجر بين الإخوان.

فالشـيطان - يابني - ليس له سـلطة على الإنسـان إلا بالإغواء وتزيين الباطل والدعوة إليه، فإذا أطاعه الانسان فإنه يكون من حزب الشـيطان، وفي النهاية سـيتبرأ الشيطان منه وسيعترف أنه ليس له تسـلط على الناس إلا بدعوتهم، فمن اسـتجاب لدعوة الشـيطان فقد أصبح من حزب الشـيطان، فيعبث فيه الشيطان ويستحوذ عليه بحسب ما مكَّن منه قلبه:

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

سألني ابني: هل يجب علينا أن نخاف من الشياطين يا أمِّي؟

فقلت: لا ـ يابني ـ، إنَّ الشياطين ضعيفة أمام المؤمن المعتصم بالله، فهي تخاف وتهرب من ذكر الله والقرآن.

ولقدأخبرنا الله أن كيد الشيطان ضعيف: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

فالشيطان ليس له طريق على المؤمن أبداً، فالمؤمن هو في أمان بإيمانه، فالإيمان أمانٌ يابنيَّ.

والشيطان ليس له تسلُّط عليه بل سلطته على أولياءه يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠].

فالخوف يا بنيَّ عبادة ولا يخاف الإنسان المؤمن إلا من ربه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فمن

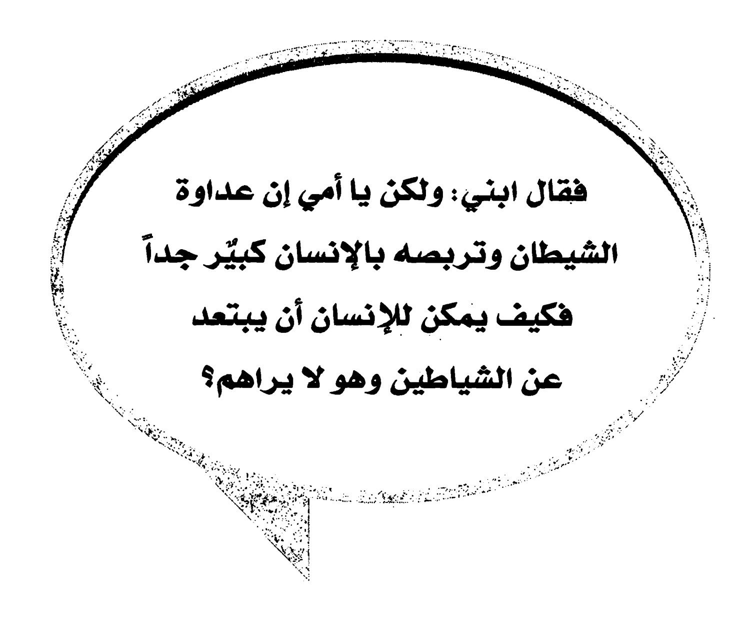
خاف من شـــيء غير الله ابتلــي به، ومن خاف مــن الله أمَّنه وعصمه، فالخوف من الله أمانٌ، والخوف من غيره قلقٌ وضياع وانعدام للأمان وتسلُّط.

كانت العرب قديماً قبل بعثة الرسـول إذا أرادوا السـفر ومرُّوا بوادي يقولون: (نعوذ بسـيد هذا الوادي من سـفهاء قومه) فكانوا يسـتجيرون من الجن بكبراء الجن فيزيدونهم رهقاً وسفهاً ويتسلطون عليهم، فلما بعث النبي علمنا ضعف الشياطين وأننا نعتصم بالله منهم بالأذكار والمعوذات وقراءة القرآن.

فمن ضعف الشيطان أنَّ ذِكْرَ اللهِ يطرده ويجعله يتصاغر

يقول الله تعالى في سـورة الفلق: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤]. يَعْنِي: مِنْ شَـرِّ الشَّيْطَانِ، ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾. الَّذِي يَخْنِسُ مَرَّةً وَيُوَسْوِسُ أُخْرَى، وَإِنَّمَا يَخْنِسُ ـ يمَا ذُكِرَ ـ عِنْدَ ذِكْرِ الْعَبْدِ رَبَّهُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِـهِ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾. قَالَ: الشَّـيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ.



فأجبته: أحسنت يا بني على هذا السؤال، وفقك الله وهداك للحقِّ وسددك.

لقد خلق الله الإنسان ضعيفاً، ومن رحمة الله به أن جعله لا يرى الشياطين ولا يرى الملائكة، وجعل نجاحه وفلاحه وحفظه من الشياطين ومن سائر الشرور هو بالذكر وبالعبادة والتمسك بحبل الله المتين، لأن الشياطين عصت الله ولا تعبده فهي تخالف كل ما يحبه الله، والملائكة تحبُّ كل ما يحبه الله، فإن فعلت كل ما يحبه الله ولزمت ذكر الله فإن الله سيؤيدك

بجنوده من الملائكة ترافقك وتحرسك وتهديك للحق، وكل شيءٍ لا يحبُّه الله تدعو له الشياطين، فإن فعل الإنسان المنكر فإن الشيطان الذي دعاه لها سيكون هو رفيقه في ذلك حتى يقلع عن الذنب ويستغفر ويتوب ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١].

ومن يكون كذابا كثير الذنوب وكثير الآثام فإن الشياطين تتنزل عليه ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]. حتى يصبح الشيطان له قريناً مصاحبا له ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

فاعلم أنَّ كل سُوءٍ وشرٍّ ومعصيةٍ إنما هي خطوةٍ من الشيطان يزينها للإنسان ويدعوه لها ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩].



فقال: حسناً يا أمي ولكن، كيف أعرف ما يحبه الله فأعمله وما لا يحبه الله فأجتنبه؟

فأجبته: ـ يابنـي ـ وفقك الله لما يحب ويرضاه، إن الله خلق الإنسان مكرَّماً ولم يتركه مهملاً.

إنَّ عقل الإنسان محدود وقاصر عن إدراك تفاصيل ما يحيط به، وقاصرعن إدراك الأصلح له حتى يفعله، وقاصرعن إدراك كل الشرور حوله فيجتنبها، فبعدأن هبط آدم إلى الأرض كان على التوحيد، وذريته تتَّبِعُهُ على ذلك على عبادة الله وحده.

لكن مع خطوات إبليس والشياطين في الأرض ومحاولاتهم، أدخلوا على أبناء آدم الاختلاف والتفرق ودعوهم لعبادة غير الله وطلب النفع من الأصنام والخوف منها ودعائها قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ [يونس: ١٩]. فكان أبناء آدم في كل زمن بحاجة إلى من يعيدهم إلى عبادة الله وحده، ويدلهم على الطريق

المستقيم بعدأن فرق الشياطين طرقهم. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

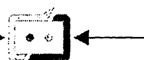
قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

لذلك ـ يابني ـ كان من رحمة الله تعالى أن أرسل للإنسان الرسل وأنزل معهم الكتب السماوية التي هي كلام الله ﷻ، فبالتالي ـ يا بني ـ لا يمكن أن يعرف الإنسان ما يحبه الله فيعمله، وما لا يحبه الله فيجتنبه من تلقاء عقله، وإنما بالوحي الذي أنزل على الرسل، ومن ذلك: صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والتوراة والإنجيل والزبور، وخاتمها القرآن العظيم الذي أُنزل على رسولنا محمد ﷺ، فيها الهدى والنور، وفيها إيضاحٌ لكل شيءيحبه الله ويرضاه.

ولابد أن نصدق بكل الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه لعباده، فما عرفنا منها مفصلا آمنا به مفصلاً، وما عرفنا منها مجملاً آمنا به مجملاً، ولا نؤمن ببعضهاونكفربعضها.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].





ما هي خصائص القرآن يا أمي؟

فقلت: يا بني! إن المصدر الذي نرجع إليه في معرفة الكتب السماوية بالتفصيل هو القرآن الكريم؛ لأنه هو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه.

القرآن الكريم هوآخر الكتب السماوية وخاتمها وهو الذي تولى الله حفظه، وهو صالح لكافة البشر.

- وهو منزل من الله ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

- وتكفل الله بحفظه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

- أنه هداية ودلالة للمتقين قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

ـ أنه يهدي للأقوم والأصلح في كل أمور حياتك في الدنيا وفي الآخرة ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]. فإن احترت في أي أمر في حياتك يا بني فعليك بالقرآن؛ فهو الذي يهديك به الله للأقوم والأحسن في حياتك فكل سوء وتشتت ونسيان وضلال إنما هو من الشيطان، وكل هداية للخير فهي من الله بآياته وبكلامه.

ـ ومن صفاته: لا يأتيه الباطل مهما حاول الأعداء إلحاق الباطل به أو تحريفه: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

ـ من صفاته: أنه ذكر مبارك، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

ـ وأنه نزل بالحق: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢].

ـ وأنه كلام من الله العزيز العليم: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ٢].

ـ وأنه يفرِّق بين الحق والباطل: قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وَقَالَ

تَعَالَــى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقــان: ١]، وهو نذير للعالمين وتفرق منه الشــياطين وتخاف.

ـ وأنه قيماً ليس فيه عوج، وَقَــالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢].

ـ والقرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وخسارة للظالمين، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

شفاء للقلوب من قســوتها ومن سائر أمراضها، كالخوف والحزن والقلــق والوســواس وغيرها. وشــفاء للأبدان من أمراضها المختلفة.

هو شــفاء ورحمة، فمن يريد معالجة ســوء في خلقه أو يعالــج ضعفاً في نفســه، أو يعالــج أخلاق أبنــاءه وقلوبهم وأبدانهم فليقرأ القرآن.

وهو خسارة للظالمين من البشــر، وخسارة للظالمين من الشياطين الذين يؤذون الناس في أبدانهم ويوسوسون لهم.

ـ وأنه نزل به جبريل من الله على قلب نبينا محمد ﷺ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤].

ـ قال اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

ـ وأنه تبياناً لكل شيء، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

ـ ويجعل الله لمن يقرأه حجاباً مستوراً بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

ـ أنه يهدي إلى الرشد، وهو كل ما يرشدك إلى مصالحك في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢].

ـ يقول الرسول ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» (حديث).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرَابِ**» (حديث).

فقال ابني: ولكن يا أمي كيف يعرف الإنسان التطبيق العملي لما أُنزل في القرآن؟

فأجبته: نعم يابني! وفقك الله للعلم بالقرآن والعمل به.

يابني! عرفنا أنَّ العقل البشري لا يمكنه إدراك جميع مصالحه لأنه لا يعلم كل شيء، فكان بحاجة لعلم ذلك ولا يعلم الخير لنا إلا من خلقنا، فهو الله العليم، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا عن طريق إنزال الكتب وإرسال الرسل؛ فإن العقل لا يهتدي إلى تفصيل هذه الأمور، وتطبيق ماجاء في الكتب لا بد من إرسال رسلاً يصطفيهم الله من أفضل البشر، ويختارهم ليرسلهم للناس؛ حتى يعلموهم أمور دينهم ويعلمونهم ما يحبُّ الله وما لا يحبُّه، ويرشدونهم للحق فيتبعونه ويحذرونهم من الباطل فيجتنبونه، ويكونون مثلهم ويعيشون معهم يأكلون ويشربون ويناموف فهم بشر ضعفاء مثلهم، ولكي يُقِيمُ الله على البشر الحجة أرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين.

والدليل قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]. وأرسل الله جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، كلهم يدعون إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، (مبشرين) مَنْ وحَّد الله بالجنة، (ومنذرين) ومحذِّرين مَنْ أشرك بالله بالخلود في النار.



ولكن يا أمِّي! كيف يعرف البشر أن هؤلاء هم رسل من الله في الحقيقة؟

فقلت: نعم يا بني، لقد أيد الله الرسول بالمعجزات والبيِّنَات والدَّلالات؛ حتى يكون النَّاس على بينة أنه رسول من الله حقًّا، فإن الله اصطفى للرسالة من يعلَمُ سبحانه أهليته لحمل الرسالة وتبليغها لخلقه، فإنهم خيرة الله في خلقه قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقوله تعال: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

فالنبوة اصطفاء من الله حسب حكمته وعلمه بمن يصلح لها. فكانت معجزة نوح السفينة التي نجا الله فيها كل من ركب فيها واغرق الباقين في الطوفان.

ومعجزة نبي الله صالح الناقة الضخمة، ومعجزة إبراهيم عليه السلام النار التي كانت بردًا وسلامًا ولم تحرقه بعد أن

القاه فيها قومه. ومعجزات موسى عليه السلام العصا التي تنقلب حية تسعى وتأكل ما امامها، وكذلك يده تنقلب بيضاء لا سوء فيها، وكذلك انفلاق البحر، ومعجزات عيسى عليه السلام مولده بلا أب، ويكلم الناس في المهد، ويصنع من الطين طيرا يطير بإذن الله ويبرئ الأكمه والابرص ويحيي الموتى بإذن الله.

أما معجزات سيدنا ونبينا محمد ﷺ فكثيرة جدا، وأعظمها على الإطلاق القرآن الكريم، وهو كلام الله الذي تحدى الله به قريشاً لما عرفوا بالفصاحة والبيان، فعجزوا عن الإتيان ولو بسورة مثله. ومن معجزاته انشقاق القمر، ومنها تكثير الطعام بين يديه، ومنها نبع الماء بين أصابعه، ومنها الإسراء والمعراج ومنها ما حصل ومنها مازال باقيا ومنها ما أخبر به في المستقبل.



قال ابني: هل الرسل في نفس المنزلة أم أنهم يتفاضلون؟

فأجبته: نعم يا بني، الرسل يتفاضلون، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأفضل الرسل أولو العزم، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وأفضل الأنبياء وخاتمهم هو نبينا محمد ﷺ.

وكانت معجزته الخالدة القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته هي خاتم الرسالات.



حسنا يا أمي: معنى هذا أن الناس بحاجة للرسل في كل زمن لتعيد الناس للطريق المستقيم؟!

فقلت: نعم يابني، حينما أُهبط آدم من الجنة كان على التوحيد وأمّا الشـرك فقد طرأ عليها فلم تعرفه البشرية إلا بعد قرون والشرك يا بني هو حرب إبليس والشياطين على أبناء آدم فالذي يفرق النّاس هو الشـرك، والعقائد الفاسدة، والبدع، هذه هي التي تفرق الناس عن طريقهم المستقيم فيختلفون.

أما التّوحيد والإتباع لعقيدة الأنبياء فهذا هو الذي يوحِّدُ الناس على الصراط المستقيم وهو توحيد الله. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. صراط الله مستقيم كله نور وضياء وهداية ورحمة وتوفيق وآخره الجنة، وأما السبل والطرق الأخرى متفرقه متشعبة تؤدي إلى الضياع والهلاك وكلها تنتهي إلى النار.

ولقد كان نبينا محمد ﷺ هو آخر الأنبياء والرسل ولا نبي بعده، وشريعته هي أكمل الشرائع وآخرها، وهي صالحة لكل زمان ومكان.

والقرآن الكريم هو آخر الكتب، وقد تكفَّل الله بحفظه، فإن حصل أيُّ اختلاف فإنه يُحْسَم بالرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٥٩].



سألني بني قائلاً: لماذا نبينا محمد ﷺ بعث للناس كافَّة؟

فقلـــت: يابنـــي، إن النبي محمـــد ﷺ هو آخـــر الأنبياء، ورسالته هي آخر الرسالات، يقول الرســـول ﷺ: «**بعثت أنا والســـاعة كهاتين**» حديث، يقول الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

فالنبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والرســـل، ودينه آخر الأديان وهو الدين الذي أكمله الله ورضيه لـــكل الناس وكان صالح لكل زمان ومكان على مر العصور والأزمان: يقول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

ولقد أوجب الله إتباع الرسول محمد ﷺ على كل مخلوق على وجه الأرض، من اليهود والنصـــارى وغيرهم: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]، لأن الله نسخ الأديان السابقة بهذا الدين

العظيم، وجعله هو الدين الباقي: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ﴾ [فاطر: ٣٢]. يعني: هذه الأمة، فتحول الكتاب والدين والدعوة إلى ما جاء به هذا الرسول ﷺ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، أي: كما أنه يملك السموات والأرض فهو الذي أرسلني، والأمر له سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] ووصف القرآن بأنه هدىً للنّاس وأنّه هدًى للعالَمين، فرسالتُه ﷺ عامّة لجميع الثّقَلين.



سألني ابني: ماهي صفات نبينا محمد ﷺ يا أمّي؟

فأغمضتُ عينيَ وكأني أنظر إليه ﷺ من خلال صفاته التي نقلت إلينا، وكلي شــوقٌ لرؤيته، فقلت: يابني! أسأل الله أن يرزقنا رؤيته في الجنة.

أمــا صفاتــه الخَلْقِيَّــةِ فهــي: كان ﷺ، ليــس بالطويل ولا بالقصير، عريض ما بين الكتفين، كان رأسه كبيراً، جميل الوجه، أبيض اللون، كــثَّ اللِّحيَةِ، بَطْنُهُ وصَدْرُهُ سَــوَاء، إذا مشى كان يســرع لنشــاطه وقوته، قليل الكلام عليه الصلاة السلام، لا يضحك إلا تبســماً، وكان براق الثنايا، كان يفرق شعر رأسه ويدهنه وكان يحبُّ الطيبَ ويحبُّ العسل ﷺ.

وأما صفاته الخُلقية فهي:

كان خلقه القــرآن، كان أكثر الناس تبســماً، كثير الذكر، قليل الكلام ولا يتكلم دون حاجة فكان كريماً، أعطى رجلاً مرة غنماً بين جبلين.

وكان شـجاعاً حتـى قال علي بـن أبي طالـب: كنا إذا اشتدت المعركة احتمينا بالنبي ﷺ.

وكان حليماً، حتى أنه عفا عن أهل مكة كلهم لما فتحها فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وكان أميناً حتى أصبح يلقب بذلك في مكة وبين شبابها، وعفيفاً عن الحرام.

وكان يمزح ولا يقـول إلا حقاً فلا يمـزح بالباطل، فقد جاءته عجوز مرة فسألته أن يدعو الله لها أن تدخل الجنة، فقال يمازحهـا: لا تدخل الجنة عجـوز، ثم قال: أخبروها ليسـت يومئذ عجوز وأنها يومئذ شابة ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ [الواقعة: ٣٥].

وكان أزهد الناس، فقد خيَّـره جبريل بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً، وكان يشبع مرة ويجوع أخرى، وقد ربط الحجر مرة على بطنه من شـدة الجوع، وكان أعبد الناس حتى تورمت قدماه من طول القيام، وكان قائماً على حاجـات الناس حتى أنه صلـى آخر عمره قاعداً، وكان كثيـر القراءة للقـرآن، وربما قـام ليلة في آية يرددها.

وكان يعطف على الصغار ويسلم على الصبيان، ويجيب السائلين، ويطعم المسكين، ويحسن للناس، ويرحم الأسرى.

كان لا يغضب لنفسه، إلا أنه شـديد الغيرة على حرمات الله، فإذا انتهكت حرمات الله لا يقـم لغضبه أحد؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها.

وكان حسَنَ العشرة مع زوجاته وأقاربه وجيرانه؛ حتى أن يهودياً كان جاراً له فأسلم لما رآه من حسن الأخلاق.

وكان يجيب الدعوة للضيافة، ويـزور الناس في بيوتهم وحوانيتهم، ويتفقد أحوال أصحابه، ويعود مريضهم، ويشهد جنازتهم.

وكان يتخولهم بالنصيحة ولا يكثر؛ مخافة السآمة عليهم.

فعلينا يابني باتباع سنة النبي ﷺ.



ما فضل سنة النبي ﷺ يا أمي؟

فقلت: هدانا الله وإياك يا ـ بني ـ لاتباع سنته وطريقته، فالسُّنَّةُ يا بنيَّ هي الطَّريقُ القويم والصراط المستقيم، وهي التي تفسِّرُ القرآن، وهي منهج الرسول ﷺ، فهي طريقته، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن شماله وعن يمينه، ثم خط خطوطاً صغيرة عن شمال هذا الخط وعن يمينه، ثم قال رسول الله ﷺ: هذا سبيلي وأشار إلى الخط الطويل وقال: هذا سبيلي وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فمن اتبع سنة الرسول ﷺ اتبع الصراط المستقيم ونجى من سبل الشياطين».

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. رسول منا نأخذ منه ديننا وهو حريص علينا ورؤوف بالمؤمنين.

وفي اتباع السنة تحصل الشرع والدين، وذلك أن الدين معناه أن لا تعبد إلا الله، ولا تعبد الله إلا بما شرع، ولا طريق لنا في معرفة الشرع بغير القرآن العظيم والسنة النبوية، ولهذا كانت العبادات توقيفية، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن» وسنته ﷺ شاملة لكل الدين، فهي المبينة للقرآن العظيم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

توضأ رسول الله ﷺ وقال: «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي، فمن زاد أو أنقص فقد أساء وظلم».

وصلى رسول الله ﷺ، وهو الذي قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»!

وهو الذي قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» وهو الذي قال: «**أفشوا السلام بينكم وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام**».

وهو رحيم بهم قال ﷺ: «**لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»، فلم يمنعه من ذلك إلَّا خوف المشقة على أمته.

فالسنة هي عدوة الشياطين فهم يحاربونها بالليل والنهار، فمن اتبع سبيل النبي وطريقته وسنته هُدي للصراط المستقيم ونجا وأفلح وكان في مأْمَنٍ من الشياطين ومن كيدهم.

ومن ترك سنة الرسول ﷺ فقد ابتعد عن السبيل المستقيم، وتفرقت به السُّبل، وقادته الشياطين؛ لأنه على كل سبيل شيطان يقوده إلى النار.

فالشياطين لا نراهم، ولكن يكفينا أن نتبع القرآن وسنة المصطفى ﷺ.

فما نزلت مصيبة على إبليس وأعوانه كمثل نزول القرآن وبعثة محمد ﷺ؛ فسنة الرسول ﷺ أكمل السنن، فمن حقه

علينا محبته واتباعه والاقتداء بسنته، والدفاع عنها، ومن حقه علينا الصلاة عليه، ويقول الرسول ﷺ: «**صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» ولقد أمر الله بالصلاة على نبيه ﷺ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. والصلاة من الله: ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى. والصلاة من الملائكة: الاستغفار ومن الآدميين الدعاء.



اطرق ابني رأسه يفكر ثم سألني:
ولكن يا أمي من أراد أن يجتهد ويزيد في عبادة الله بشيء لم يأت به النبي ﷺ هل يقبل منه؟

فقلت: يا بني إن الذين يتقربون إلى الله بأمور محدثة، يعني ببدع، فإنها لا تقبل منهم عبادتهم لماذا؟

لأن الطريق المستقيم الموصل لله ورضاه واحد، وهو طريقة نبينا محمد ﷺ وسبيله! فكيف يأتي الإنسان بطريق غير طريقه؟ كلُّ طريق غير طريق الرسول إنما هو طريقٍ للشياطين ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعمله مردود؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهورد**» حديث.

إذاً في اتباع سنة الرســول ﷺ وتطبيقها أخذ بالدين كله. **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممــت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)** حديث.

(والرســول ﷺ علمنا كيف نتوضأ وكيف نصلي وعلمنا الآداب والأخلاق.

وكان يعلمنا لما دخل المدينة قال: «**أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**» حديث.

ويعلمنا يقول: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» حديث.

علمنا الصيام وعلمنا الزكاة وعلمنا أمور الدين.

فاتباعك لسنة الرسول أخذ بأمور الدين جميعها فلم يترك شيء من أمور ديننا ودنيانا التي فيها صلاح لنا إلا ودلنا عليها وأرشدنا إليها بأبي هو وأمي ﷺ.



أمي! لماذا نبينا محمد ﷺ زاهداً في الدنيا، مع أنه لو دعا الله لاستجاب دعاءه ووسَّع عليه في الدنيا؟.

فأجبته: يابني إن الله ﷻ حذرنا من الاغترار بالدنيا؛ لأنها متاع الغرور، يقول الله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والغرور هو إبليس؛ لأن إبليس هو الذي دعا الله أن يطيل عمره في الدنيا، فهو أطول من البشر عمراً في الأرض وأكثر مكثاً فيها.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٦ ـ ٣٨].

أما المؤمن فإن الجنَّة حياته الحقيقية وسيعود لها، فهو في الدنيا كالمسافر يأخذ من الدنيا فقط متاع المسافر الذي

يســتطيع أن يعيش فيها إلى، أن ينتقل للحياة الآخرة الكاملة الباقية.

والنبي ﷺ هو آخر الأنبياء وبعده الساعة، يقول «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.

فبعثــة النبي هي أحــد علامات قــرب الســاعة، لذلك النبي ﷺ وهو معلمنا وقدوتنا كان مقبــلاً على الأخرة، وفي المسند عن رسول الله ﷺ: «**لو شــئت لأجرى الله معي جبال الذهــب والفضة**». وفــي الصحيح أنه ـ عليــه أفضل الصلاة والسلام ـ خُيِّرَ بين أن يكون نبياً ملكا أو عبداً رسولا فاختار أن يكون عبدا رسولا.

وعلَّم أمته الزهد في الدنيا وعدم التَّكثُّرِ منها؛ لئلا ينطبق علينا قوله: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَالْتَفَتُّ فَلَمْ أَرَ شَــيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ.. فَقُلْتُ: يَا رَسُــولَ اللهِ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخِيَرَتُهُ، وَهَذَا كِسْرَى وَقَيْصَرُ فِي الدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ؟ قَالَ: فَاسْــتَوَى جَالِسًا وقال: «**أفي شــك أنت يا بن الْخَطَّابِ.**

أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي! فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ».

ومن زهده ﷺ، أنه كان يدخل على أهله فيسأل عن الطعام، فإن وجد وإلا صام لله.

وكان يمر الشهر والشهران لا يوقد في بيت النبي عليه السلام ناراً، وكان طعامه التمر والماء.

ولما اجتمعت نساء النبي ﷺ ومعهن السيدة عائشة لطلب الزيادة في النفقة منه رغم علمهن بحاله، قاطعهن رسول الله ﷺ تسعة وعشرين يومًا حتى أنزل الله تعالى قوله الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩]. فقام النبي ﷺ بتخيير أزواجه فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك». قالت: وقد علم أن أبواي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

فَتَعَالَيْنَ ﴾. حتى بلغ: ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فقلت: في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أُريد الله ورسوله والدار الآخرة. وكذا فعل أزواج النبي جميعًا.

فالرسول ﷺ كان يرسم لنا منهجية، وهوالسعي للغاية الأساسية من خلقنا، وهي عبودية الله، وعدم إرادة الحياة الدنيا وزينتها وعدم تعجيل الأجر في الدنيا، وإنما ادخاره في اليوم الآخر ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

إن الدنيا يابني هي مزرعة الآخرة وطريق الأخرة، فلا يمكن لإنسان يريد الجنة أن لا يعمل في الدنيا ويجتهد فيها، فالإسلام يدعو للعمل في الدنيا والسعي فيها، ولكن بما يحبه الله ويرضاه.



ما هو اليوم الآخر يا أمي؟

فقلت: اليوم الآخر - يا بني - هو يوم القيامة، وله عدة أسماء، يوم البعث، يوم النشور، يوم الخروج، يوم الجمع، يوم الحساب، يوم الدين، يوم الخلود،، يوم الحسرة، يوم الساعة، وله أسماء أخرى كثيرة.

وهو يوم الجزاء، فيأخذ كلٌ إنسان جزاءه على ما عمل في الدنيا، فأهل اليمين من المؤمنين الذين أطاعوا الله اتبعوا رسلَه، وأهل الشمال هم من عصوا الله واتبعوا سبل الشياطين المتفرقة.

ولقد أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز وأخبرنا رسولُنا ﷺ بما بعد الموت من أحوال القبر والبَرْزَخ، ثم البعث والنُّشور، والقيام من القُبور، ثم الوُقوف في المحشَر، ثم الحساب، ثم الميزان، ثم تطايُر الصحُف.

فالمؤمن يأخُذ كتابه بيمينِه وغير المؤمن يأخذ كتابه بشمالِه.

ثم المُرور على الصّراط، ثم الاستقرار في الجنّة أو في النّار، هذا كلُّه يشمله الإيمان باليوم الآخِر.

وبعد النفخ في الصور يموت كل من بقي من المخلوقات، لا يبقى إلا مالك الملك الحي الباقي الذي لا يموت فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ثم نفخة البعث والنشور، يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ق: ٤١ ـ ٤٢]، والدليل على البعث قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]، وقوله: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١]. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم: ٢٧].

كما في قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وتارة يستدل الله على البعث بتنزيه الله عن العبث؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾

[المؤمنون: ١١٥]، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].. إلى قوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠].

يوم القيامة هو يوم شديد مهول ويوم الفزع وما يلقاه الناس فيه من الشدائد والأهوال؛ فهو يوم تشخص فيه الأبصار، وتطير القلوب عن أماكنها حتى تبلغ الحناجر.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ٨ ـ ١٤].

والإيمان بهذا اليوم يحمل الإنسان على العمل والاستعداد له، فهو يوم مهول مفزع نسأل الله أن ينجينا برحمته، ولا يستطيع الإنسان الفرار منه، وينبغي للإنسان العاقل أن لا يضيع حياته في السعي للدنيا الزائلة المنتهية القصيرة ويترك العمل للآخرة الدائمة؛ لأن غمسةٌ واحدة في النار تُنسي الإنسان كل لذات الدنيا.

كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالإيمان باليوم الآخر يجعل العبادات في حياة المؤمن سهلة؛ لأن إيمانه باليوم الآخر هو الذي يحمله على الزهد في الدنيا والشوق للقاء الله والاجتهاد في العبادة، أما الذي لا يفكر باليوم الآخر فتكون العبادات والصدقات ثقيلة وكبيرة عليه، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ٧ - ١١]. فالمؤمن اهتمامه باليوم الآخر لذلك يصلي ويصوم ويتصدق ويخلص عمله لله وحده لأنه مصدِّقٌ باليوم الآخر الذي ينتظره. ولا ينتظر من الناس الشكر والجزاء ولا يحرص على أن يستوفي أجره في الدنيا.

أصبح الإيمان باليوم الآخر ضروري يا أمي لعقل الإنسان وصحته وحياته وكل أمره، فلا يشعر الإنسان بالحزن لفوات أمرٍ يحبه أو حصول أمرٍ يكرهه ولا القهر فالعدل والانتقام والجزاء في اليوم الآخر.

نعم يا بني: الناس في هذه الدنيا منهم المحسن ومنهم المسيء، وقد يموتون ولا يرى بعضهم جزاء عمله.

فمن للمظلوم والمقهور إذاً؟

ومن للمحسن والمسيء؟

ومن ينتقم من الظالم؟

فلا بد من دار أخرى غير هذه الدار، يقام فيها العدل بين الناس، وينال كل منهم جزاء عمله. وسمي باليوم الآخر

لتأخره عن الدنيا، وقد دل عليه العقل والفطرة، كما صرحت به جميع الكتب السماوية، ونادى به الأنبياء. بل إن الله لما أهبط آدم عليه السلام قال له: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤]. حياة الدنيا مؤقتة لها حين وتنتهي.

كما أن الإيمان بلقاء الله وباليوم الآخر يحمل على الثبات عند لقاء الأعداء والصبر على الشدائد، كما قال تعالى في قصة طالوت وجنوده حينما لقوا عدوهم الذي يفوقهم في الكثرة بعدما جاوزوا نهر الامتحان ولم ينجح منهم إلا القليل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

كما أن عدم الإيمان بهذا اليوم يحمل الإنسان على الكفر والمعاصي والاغترار بالدنيا وعلى الظلم، والعدوان، والبغي والفساد؛ لأنه من نقص إيمانه باليوم الآخر يعمل للدنيا طوال وقته وينافس عليها، ويصيبه الخوف والهلع والسخط لفوات شيء منها ويصيبه طول الأمل وكأنه لا حياة غير الحياة الدنيا

فيجعلها غاية همه، فكل إنسان في هذه الحياة الدنيا يعمل ويغدو. (كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) رواه مسلم.

فكل إنسان في الحياة الدنيا هو بائع لنفسه لأجل غاية، فالمؤمن باع نفسه لله واشترى بها الجنة فقد فاز ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

ومن الناس من يبيع نفسه ويشتري بها المال أو الملاهي، أو أي أمر من زينة الدنيا الزائلة ويخسر نفسه ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٨٦].

فهؤلاء قد خسروا أنفسهم ببيعها لشيء غير مضمون وللذة زائلة لا تبقى.

والإيمان باليوم الآخر يجعل المؤمن لا يحرص على تعجيل أجر أعماله في الدنيا، بل يريد جزاء الآخرة، ويرجو رحمة ربه، أما من لا يؤمن باليوم الآخر فيحرص على الحياة

الدنيا ويريد ثـواب أعماله في الدنيـا. ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥ - ١٦]. فالإيمـان باليوم الآخر يجعل المؤمن يحاسب أعماله ولا يحرص على الدنيا ويطمع بثواب الله ويعمـل وكل همه الآخـرة. قال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٧ ـ ٨]. ويرضى بما قـدر الله له في الحياة الدنيا ويؤمن بالقضاء والقدر فإن الدنيا زائلة وهي مزرعة الآخرة.



فقال ابني: ما هو القضاءُ والقدر يا أمي؟

فأجبته: القضاء هو الفصل والحكم، وهو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل يقول الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]. ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]. ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

والقدر بمعنى التقدير، فهو تقديرُ الله الأشياء في القدم وعلمه سبحانه بوقوعها وكتابته لها ومشيئته لها ووقوعها بعلمه وإرادته وخلقه لها.

والقضاء والقدر: هما متلازمان، فما قضاه الله بعلمه وحكم به وكتبه في الأزل، فمنه ما قدَّرَهُ ووقع وقضى وفرغ منه، أو سيقع وسيقدِّرُه الله فيقضي وقوعه بقدرته وسيخلقه ويخلق أسبابه. ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة ١١٧].

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣].

روى مسلم في صحيحه عن طاووس قال (أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر.

قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول: كل شيء بقدر حتى العجزُ والكيس) الكيس هو النشاط والهمَّة.

ومن ذلك ما يقدره الله من التقدير الحولي السنوي في ليلة القدر، وهي ما كتبه الله مما سيكون في السنة من خير ورزق وحياة ومطر وموت وكل ما يقوم به العباد من أعمال، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣ ـ ٤].

وكذلك التقدير اليومي، فهو سَوْقُ المقادير التي قدِّرت لها فيما سبق في أوقاتها المكتوبة ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

جملة أقوال المفسرين في ذلك: (أن الله من شأنه كل يوم أن يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز قوماً ويذل آخرين ويشفي مريضاً ويفك عانياً ويفرج مكروباً ويجيب داعياً ويعطي سائلاً ويغفر ذنباً إلى مالا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه).

فلله سبحانه وتعالى له العلم الكامل وله القدرة الكاملة، وقدرته لا يعجزها شيء، ومن أسماء الله سبحانه وتعالى القادر والقدير والمقتدر، والقدرة صفة من صفاته سبحانه وتعالى.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن القدر فقال: (القَدَرُ قُدْرَةُ الله).

فكل شيء يتبع قدرة الله ومشيئته وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]. وقالت الملائكة ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وقال نوح عليه السلام ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

وقال شعيب عليه السلام ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]. وقال أهل الجنة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وقال أهل النار ﴿غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمًا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

فقال: يا أمي! كيف يكون الإيمان بالقضاء والقدر؟

فرددتُ عليه: الإيمان بالقضاء والقدر يكون بأربعة أركان:

أولاً: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط لكل شيء في الكون ويعلم ما كان وما سيكون.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

الثاني: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ماهو كائن إلى يوم القيامة، ففي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**».

واللوح المحفوظ هو الكتاب المسطور ﴿وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١ - ٣].

الثالث: الإيمان بمشـيئة الله النافذة وقدرته التامة، فماشاء كان ومالم يشـأ لم يكـن. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكويـر: ٢٩]. ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [النحل: ٩٣].

الرابع: خَلْقُهُ تبارك وتعالى لكُلِّ موجود، ولا شـريك له في خلقه. ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]. ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

فـالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلـم بالشـيء فيكتبـه ويشـاءه فيخلقـه ويوجده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ..

أمي، إن كان كلُّ شيء هو بمشيئة الله وقدرته، فكيف يحاسب الله الإنسان على عمله؟

فقلت: نعم يابني إن الله خلق العباد، وخلق أفعالهم وقدَّرَها لهم، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]. ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٥٢]. أما العبْدُ فإنّه لا يقدر على شيء إلَّا بما قدَّره الله له. ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

لكن يابنيَّ إن الله جعل للإنسان قلباً نابضاً لا يتوقف، وجعله مختاراً مريداً راغباً فإن كانت إرادته واختياره لما يريد الله منه كان سعيداً، وإن كانت اختياراته لما يريد الشيطان كان شقيّاً، ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠]. يقول ابن تيمية: وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ ـ ٨].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُلْهِمُ الْفُجورَ وَالتَّقْوَى لِلنَّفْسِ، وَالْفُجُورُ يَكُونُ بِوَاسِطَةِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ إِلْهَامُ وَسْوَاسٍ، وَالتَّقْوَى بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ،

وَهُوَ إِلْهَامُ وَحْيٍ، هَذَا أَمْرٌ بِالْفُجُورِ وَهَذَا أَمْرٌ بِالتَّقْوَى، وَالْأَمْرُ لَا بُدَّ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهِ خَبَرٌ.

فإن حَفِظَ الإِنْسَان نفسه من الشياطين وكان في تقوى منها، أتته إلهامات الملك إلى قلبه بالهداية والنور، فإن هو أحبَّها بقلبه وإرادته، تحركت الجوارح بما يرضي الله من أعمال، وصدَّقَت للقلب، أمَّا إن كان الإنسان غير متقي لله وكثير المعاصي والذنوب فإن الملائكة لا ترافق الإنسان في حال المعصية، بالتالي فإنَّ الشياطين تستزله بما كسبت يداه من الإثم بحسب نقص تقواه وإيمانه، فتحجب عن عقله الحقَّ، وتزيِّنُ لقلبه الباطل وتحبِّبُهُ به، فإذا أحبَّ القلب المنكر انقادت الجوارح للقلب؛ لأن القلب هو الملك والجوارح جنوده، فتعمل الجوارح بما يأمرها القلب.

فإن الله جعل القلب نابضاً مريداً طالباً، وجعل الجوارح تبعاً له، فهو الذي يمدها بالدم، وجعل للجوارح استطاعة، وذلك بسلامة الأسباب والحواس والآلات، فهو بسلامة حاسة السمع يكون مستطيعاً للسماع وبسلامة حاسة البصر يكون مستطيعاً للإبصار، وبسلامة حواس الحركة يكون مستطيعًا للمشي وللحركة، وبوجود المال معه يكون مستطيعاً للإنفاق.

فالاستطاعة هي سلامة الأسباب والحواس والآلات وتكون قبل الفعل، ومعه، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤].

فقد يستطيع الإنسان ـ يابنيَّ ـ الحج مثلاً بسلامة حواسه ووجود المال معه وتهيئة الأسباب، ومع هذا لا يحج ولم يقدِّر الله له الفعل فيكون غير قادر.

لأن القدرة هي: تَقْدِيرِ الله للعبد وتمكينه من الفعل مع استطاعة العبد على ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]. نظروا لاستطاعتهم وإرادتهم فظنوا جهلاً منهم أنهم قادرون عليها ولكن أتاها قدرة الله فجعلتها حصيدا.

﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥]. أنهم غدوا على أمرٍ قد قصدوه في أنفسهم واعتمدوه، وهم قادرون عليه بظنهم في أنفسهم فقط وفي تصوراتهم.

فإن الإنسان حينما يتصور أمراً في نفسه ويخطط له يظنُّ أنه قادر عليه، ولكنه في الحقيقة هو يتصور استطاعته فيما

يملكه من سلامة الحواس، أما القدرة فهي بتقدير الله له، فإن الله هو القادر القدير المقدِّر المقتدر.

يقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مذهب أهل السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١].

ولكن ـ يابنيَّ ـ جعل الله للعبد استطاعة ومشيئة تتبع مشيئة الله، وجعل له اختياراً، فهوغير قادر على تغيير الماضي.

ولكنه يستطيع الآن أن يستغفر ويتوب مما فعل في الماضي.

ويستطيع أن يستنبط العبر والمواعظ والخبرات مما مضى، وهو كذلك غير قادرٌ على المستقبل لأن المستقبل بأمر الله وقدرته.

لكنه يستطيع الآن أن يتقي الله فيما بين يديه الآن، حتى يتخلص من سبل الشياطين التي تدعوه لغير الطريق المستقيم وتستحوذ عليه وتملي عليه الباطل، وأن ينوي نية الخير والإصلاح فإن قدَّره الله ووفقه لعمل الخير فالحمدلله، وإلَّا يحصل له الأجر بنيَّته لعمل الخير، لقول الرسول ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنِّيَّات وإنَّمَا لكلِّ امْرِئٍ ما نوى**» حديث.

ويستطيع أن يدعو الله ويعمل بعمل أهل الجنة والصلاح والخير فيما يمكِّنُهُ الله الآن من فعله.

فالعبد لا يخلق نفسه ولا يخلق أفعاله ولا يخلق أسباب أفعاله ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، لكنه يحفظ جوارحه عمَّا حرم الله ويتقي الله فتزداد بصيرته

ويطلب من الله الهداية والتوفيق لما يحبه الله، فيعمل بما يسَّره الله له وقدَّره الله عليه وكتبه عليه، يقول الرسول ﷺ: **«كل عامل ميسَّرٌ لعمله»**.

فمن قدّر الله عليه المرض فإنَّه عليه الصبر والرضا. ومن قدّر الله عليه الغنى فعليه الشكر والحمد وأداء حق المال. فإن أتاه الآن فقيراً يطلب منه مالاً وهو يملكه فإنه مختاراً لأن يعطيه أو يمنعه فهذا هو اختيار العبد فيما قدَّره الله عليه. فمثلاً قد تكون أنت اخترت أن تذهب الآن لعيادة مريض تقربا لله، ولكن في منتصف الطريق حصل أمرٌ ما، منعك من إكمال الطريق فرجعت، فإن اختيارك وإرادتك للخير ونيتك لم تذهب عند الله سدى فقد كتبها الله لك نية حسنة وبكل خطوة من خطواتك لك فيها أجر، ومع هذا ينبغي أن لا تتضجر

وتعترض عما تسبب لك في منعك عن الذهاب، فهذا قدرُ الله فعليك الرضا بما قضا الله وقدّره لك، ولك في الرضا أجرٌ عظيم أيضاً، فأصبح لذهابك لأجر، ورضاك بما قدر الله عليك في رجوعك أجرٌ أعظم.

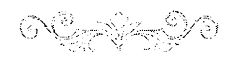
أرأيت فضل الله يابني؟ ويقول الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. عن ابن عباس قال: نبتليكم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنا والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلالة) فكل ما يمر عليك في لحظتك الآن من خيرٍ أو شرٍّ إنما هو فتنة واختبار وامتحان لتقواك وإيمانك وجوارحك، فإن كان خيرا فافعله واستعن بالله واحمد الله على ذلك وإن كان شراً فابتعد عنه واتق الله واصبر على ما ابتلاك الله. فلكل جوارحك عباد وتقوى.

فمثلا العين ثغرٌ ولها أعمال ولها تقوى، وفي حال المنكرات مطلوب منها غض البصر.

وكذلك الأذن والفم والأنف واليد والرجل والبطن والفرج، كل واحد له عمل وله تقوى.

يقول الله تعالـــى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ٧]. فكل إنسان يعمل باختياره هُوَ، بما قــدَّره الله عليــه، وما يســره الله لــه، فمنهــم اختياراته وتصديقاته ونيته تؤدي به إلى الشقاء، ومنهم اختياراته ونيته وتصديقه تؤدي به إلى الســعادة في الدنيا والآخرة ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

عن ابن عباس عن رســول الله فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: (إن ربكم رحيم من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حســنة، فإن عملها كتبت له عشر إلى ســبعمائة إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت واحــدة أو يمحهــا الله ولا يهلك علــى الله إلا هالك) أخرجه مسلم.





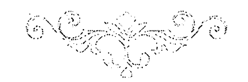
فقال: أفهم من ذلك يا أمي أنَّ للمؤمن أجراً في كل حركاته وكل أفعاله وحتى في مرضه وصبره،؟!

فقلت: نعم يا بني، وقد تعجب قبلك النبي ﷺ من ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**».

قال رسول الله ﷺ: «**لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة**».

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ويقول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].



أمي! إن الإيمان بالقضاء والقدر يجعل الإنسان راضياً دائماً، ومطمئناً؛ لأنه على ثقة بربه وباختيار الله له، فلا يعترض على أي أمر يحصل له مما كتبه الله عليه.

فقلت: نعم يا بني فتح الله عليك، إنَّ من يكون عنده إيمان بقدرة الله وبرحمة الله وعلمه الكامل ويقين بالله وثقة بالله بما اختاره لك أنه خيرٌ لك.

فإن الله طوى علم القدر عن خلقه ونهاهم عن الاعتراض والسؤال فيما لم يقدره الله ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

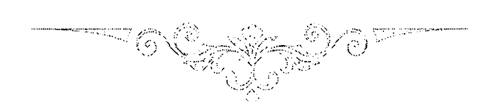
لأن القدر سرٌّ من أسرار الله ﷻ، بل الإيمان بما قدره الله من خيرٍ أو شرٍ واجب على العباد، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله فيكون في ضلال.

فالإيمان بالقدر خيره وشره وتسليم الأمر لله ﷻ والرضا به يبعث على الطمأنينة والسكينة؛ لأن عقل الإنسان قاصرٌ عن إدراك الأصلح والأنفع له، فقد يطلب الإنسان أمراً يظنه خيراً له ويمنعه الله منه لأنه يعلم أن حصوله شر محض، وقد يصاب الإنسان بمرض فيكون فيه صرفٌ له عن أمرٍ آخر هو شرٌ له، ومع هذا يكون في صبره على المرض أجرا له ورفعة في درجاته وخيراً له في الدنيا والآخرة فلله حكمة لا نعلمها ولكن نثق بربنا ونحبه، ونعلم أنه حكيم عليم رحيم قادر وله الكمال سبحانه وتعالى وأن ما اختاره وقدّره لنا هو الأحسن لنا والأصلح، فنعبد الله ﷻ بالرضا بالقضاء والقدر خيره وشره.

فإن الإنسان لا بد له أن يعزم على عبادة الله والامتثال لأمره وتقواه، ويستعين بالله على ذلك ويصبر على المصائب المقدرة، ويستغفر من ذنبه، وأن يحمد الله إن حصل أمراً يسرُّه ويصبر ويرضا إن حصل أمراً لا يسرُّه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

الخاتمة..



أمي: اتضح لي أن الإيمان يشمل جميع حياة الإنسان في دينه ودنياه..

نعم يا بني إن الإيمان كالبناء ولـه أركان وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره ..

وقد لاحظت يا بني أن اسئلتك الفطرية خلال حوارنا كانت اجوبتها في اركان الايمان، وهذا يدل على أن الإنسان مفطور على التوحيد والإيمان بالله، وأن كل ما تعتريه من تساؤلات يكون جوابها في أركان الإيمان..

ولكن احذر يا بني فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فعليك يا بني أن تجعل تقوية إيمانك والفقه فيه هو مشروع حياتك، واستزد من تلاوة كتاب الله واتباع سُنَّة نبيه المصطفى صلوات الله عليه فهما سبيل النجاة.

بارك الله فيك يا بني وزادك علمًا وفقها في دينك ..

فهرس الموضوعات



